بحث محكم | قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية | 25 نوفمبر 2019

فيثاغورس: الإلهيات الحسابية والتصوف الرياضي

شرف الدين عبد الحميد
باحث مصري

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2019
All rights reserved © 2019

الملخص التنفيذي:

يهدف هذا البحثُ إلى إعادة النظر للرياضيات الفيثاغورية، واعتبارها نوعًا من **التصوف الرياضي**، وليس فقط علمًا مقصودًا لذاته، وإنما مقصده النفاذ إلى أسرار الطبيعة، والارتفاع بالحياة الإنسانية إلى مستوى أقرب إلى الحياة الإلهية. إن الرياضيات الفيثاغورية نوعٌ من "**الإلهيات الحسابية**" (**Theologumena tes arithmetices**)، وهو عنوان كتاب **ليامبليخوس** (**Jamblicus**) -كاتب سيرة حياة فيثاغورس- يعبر أدق التعبير عن فيثاغورس والفلسفة الفيثاغورية. إن اللاهوت الفيثاغوري مستمدٌ من الأعداد، لذا فهو **لاهوت الرياضيات**، وأن المعرفة الرياضية عند فيثاغورس **معرفة صوفية** غايتها الكبرى تحقيق التصوف؛ أي اعتبار الرياضيات طريقًا للحياة، ووسيلة نظرية لتطهير النفس، ومبدأ من مبادئ اللاهوت الفيثاغوري. ذلك المبدأ المؤسس لحركة صوفية لازالت أصداؤها تتردد منذ أفلاطون وحتى وقتنا الحالي. وهذه الحركة الصوفية هي ما حاولتُ فحصها باسم جديد هو "**الإلهيات الحسابية والتصوف الرياضي عند فيثاغورس**». وما يمكن أن يكون قد أضفته هو -ببساطة- عدم إمكان التفرقة بين العلم والتصوف، بين الرياضيات وخلاص النفس، بين تاريخ العلم، وتاريخ الفلسفة، وتاريخ التصوف، فكل ذلك يمثل -كما أظنُّ- ذلك **السديم الجبار المسمى فيثاغورس!** ذلك السديم الذي تجرأتُ على وصفه فنعتّه باسم «**التصوف الرياضي**»؛ وذلك من خلال العناصر الآتية:

أولاً: فيثاغورس في القرن السادس قبل الميلاد.

ثانيًا: فلسفة فيثاغورس في النفس.

ثالثًا: التصوف الرياضي كخلاص للنفس.

تقديم:

يتفق معظمُ الباحثين على أنَّ الفلسفةَ الفيثاغورية فلسفةٌ سريةٌ صوفية، ولها جانبان: **جانب فلسفي ديني وجانب علمي رياضي**، ثم يقومون بالفصل بين الجانب العلمي الرياضي، وبين الجانب الفلسفي الديني؛ وذلك لعدم إمكان التوفيق بين الجانين اللذين يبدوان وكأنهما متعارضان. في تقديري -وهي وجهة نظر قابلة للنقاش- أنه لا يوجد فصل بين تعاليم فيثاغورس الفلسفية الدينية، وبين آرائه العلمية، بل ربما أجسر على القول -دون أن استبق النتائج- **بأنه لم يكن لفيثاغورس آراءٌ علمية -مقصودة لذاتها- أصلاً!** كيف، وقد تحدث المؤرخون عن آراء لفيثاغورس في الرياضيات والفلك والطب والموسيقى؟

يبدو لي أنَّ كل ما عده المؤرخون آراء علمية -كما سوف أحاول التدليل عليه- ما هو **إلا محض مواجيد صوفية**؛ وسنرى **كيف أن المثل الأعلى الفيثاغوري لا يهتم بالعلم لذات العلم أو لفائدته العملية، بل العلم كله ليس له إلا فائدة واحدة هي: التخلص من عجلة الميلاد**. ما سوف أحاول إثباته هو: **فيثاغورس لم يكن إلا رجل فلسفة دينية يمارس العلم لهدف ديني ليس غير، غايته النهائية تحرير الإنسان وضمان خلاّصه الرُوحي في هذا العالم**، وقد مثل ذلك طريقًا جديدًا للفلسفة في القرن السادس قبل الميلاد، وهذا الطريق الجديد الذي اختطه فيثاغورس للفلسفة هو ما أُطلقُ عليه «**الإلهيات الحسابية والتصوف الرياضي**».

يوجد لاسم فيثاغورس ذكرٌ عند بعض الفلاسفة اليونان الأوائل: **اكسينوفانيس، وهيراكليتوس، وأمبادوكليس**. ولم يذكر **أفلاطون** فيثاغورس إلا مرةً واحدةً باسمه صراحة، ولكنه ذكر عقائد الأورفيين والفيثاغوريين. ولم يذكر أرسطو فيثاغورس سوى مرتين باسمه صراحة، وكان يتكلم عن جماعة الفيثاغوريين لا فيثاغورس وحده. أما أعمال فورفوريوس (233-305م - Porphyry) تلميذ أفلوطين، ويامبليخوس (250-325م - Jamblicus) تلميذ فورفريوس، وديوجينيس اللائرتي (القرن الثالث الميلادي)، فإن هذه المصادر الثلاثة الأخيرة هي الكتب التي بقيتْ بعد ضياع المؤلفات الفيثاغورية، في مراحلها المختلفة؛ من الفيثاغورية الأصلية والقديمة إلى الفيثاغورية الجديدة؛ من القرن السادس قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي. وكلها أعمال تشكلتْ في القرن الثالث الميلادي واحتفظتْ بالشذرات التي بقيت من أقوال فيثاغورس ومدرسته، والتي تعود، في الغالب، إلى كتابات **أرسطوكينوس** (Aristokenos) في القرن الرابع قبل الميلاد، والتي لم تخلُ من الأساطير والخرافات (والتي تهمنا بالطبع دلالتها لا حقيقتها). ومعظم مصادر الفلسفة الفيثاغورية لم يتبقَ منها إلا الأسماءُ وقليلٌ من الشذرات لبعض أعلام الفيثاغورية، خصوصاً **ألكميون وفيلولاوس وأرخيتاس**. إن هذه الشذرات المختلف عليها -أشد الاختلاف بين الباحثين حول موثوقيتها- قد انتهتْ إلى ما ذكرتُ من المصادر السابقة. أما الأقوال أو «**الأبيات الذهبية**» **The Golden verses**، **لفيثاغورس**، والمختلف حول نسبتها إلى فيثاغورس، وهي عبارة عن واحد وسبعين مقطعًا

شعريًا، **فلا تحتوي الذهبَ الفيثاغوري**، على حد تعبير **د. الطيب بوعزة**[1]؛ إذ ليس فيها أية مقولة تخص الجانب الفلسفي البحت؛ وإنما مجرد عظات ومواعظ أخلاقية، وإن كان لها قيمة تربوية وأخلاقية لا تخفى، ومن ثم قيمة تأسيسية للتطهر العملي.

إن دوري سوف يتمثل في محاولة **إعادة ترتيب مبادئ الفلسفة الفيثاغورية** (أعني فلسفة فيثاغورس بالإضافة إلى فلسفة الفيثاغوريين الذين جاءوا من بعده، وقد قمت بنسبة الفلسفة الفيثاغورية إلى مؤسسها الأول حلاً لإشكاليات عديدة تثيرها الشذرات لا مجال للتفصيل فيها الآن، **فأنا هنا أجمع كل الآراء الرئيسة التي يمكن نسبتها إلى الفيثاغورية الأولى أو الأصلية أو القديمة، تحت اسم المؤسس لا اسم الاتباع**)؛ لمحاولة رسم صورة لفلسفة صوفية رياضية، لا لنظريات علمية كما نفهم من معنى العلم اليوم. وعلى ذلك، سوف أتناول **الحسابات الإلهية والتصوف الرياضي عند فيثاغورس** من خلال العناصر الآتية:

أولاً: فيثاغورس في القرن السادس قبل الميلاد.

ثانيًا: فلسفة فيثاغورس في النفس.

ثالثًا: التصوف الرياضي كخلاص للنفس.

وفيما يأتي تفصيل مناسب لهذه العناصر:

أولاً: فيثاغورس في القرن السادس قبل الميلاد

- **قرنُ الآلهةِ والأنبياءِ وفيثاغورس**

يُعد القرنُ السادس قبل الميلاد، قرنَ الاضطرابات السياسية والإصلاحات الدينية بامتياز، حيث ظهرَ في الشرق «**زرادشت**» (**Zoroaster**) حكيمُ فارس مؤسس الديانة **الزرادشتية** (Zoroastrianism)، **وبوذا** (**Buddha**) حكيم الهند مؤسس الديانة البوذية (**Buddhism**)، **وكونفشيوس** (**Confucius**) حكيم الصين مؤسس **الكونفشيوسية** (**Confucianism**). وفي بلاد اليونان ظهر حكيمُها الإلهي فيثاغورس (**Pythagoras**) مؤسس الفيثاغورية (**Pythagoreanism**). وكان قد وفد إلى **تراقيا** (**Thrace**) في شمال اليونان -قبل فيثاغورس أو معه- "**أورفيوس**" (**Orpheus**)، مؤسس الديانة السرية **الأورفية** (**Orphism**)، الذي عاش، مثل **ديونيسيوس**، (الذي تُنسب إليه الديانةُ السريةُ **الديونيسوسية**

1 د. الطيب بوعزة: تاريخ الفكر الفلسفي الغربي قراءة نقدية (3)، فيثاغور والفيثاغورية بين سحر الرياضيات ولغز الوجود، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، 2014م. ص 122

(Dionysian)، في **تراقيا**، قبل عصر **هوميروس وهسيودوس**[2])، ويُقال إن نسب أورفيوس إلهي؛ فأمه هي الربة كاليوبي "**Calliope**"، إلهة الفن، وأبوه هو أحياناً الإله أبوللون إله الموسيقى والفنون، (سُيعد فيثاغورس ابنًا لأبولون بالإضافة إلى أبيه الأرضي **مينسارخوس**، أو هو أبوللون نفسه! الذي وفد من أقصى شمال العالم![3])، وأحياناً أخرى ابن ايارجوس "**Oeargus**"، إله الخمر في تراقيا. ومن المحتمل أن أورفيوس قد زار **مصر** (كما سيفعل فيثاغورث) بحثاً عن المعرفة[4].والأمر المؤكد أن هذه الاضطرابات الدينية انتهت بهيمنةٍ للدين ومكانته السامية في نفوس البشر، تلك النفوس التي كانت تتطلع لنوعٍ ما من الخلاص الرُّوحي، بعد أن دمرت الاضطراباتُ السياسية الحجرَ والبشر. وهذا ما تسميه **كاثلين فريمان**[5] **بالإحياء الديني العظيم** في اليونان في القرن السادس قبل الميلاد.

- **سيرة فيثاغورس: أساطيرُ المولدِ والنشأة**

تُروى الأساطيرُ -عبر العصور- عن فيثاغورس وقد بالغ القدماءُ في **أسطرة شخصية فيثاغورس**، ولم يكونوا ليفعلوا ذلك، إلا بسبب **تميزه وقيمته الاستثنائية في التاريخ الفكري لليونان**[6]. **ولا حاجة بنا لدحض الأساطير؛ إذ يكفي أنْ نَسِمَها بالأساطير! ثم نمضي لنستخلص منها الدلالة على فيثاغورس وعلى فلسفته؛ أعني لنستخلص جوهرَها الرُوحي العميق.**

وُلد فيثاغوراس في جزيرة ساموس، حتى أنه لقب بالسامي Samios (أي مواطن جزيرة ساموس). وعندما كان في سن الشباب الغضة، كان تواقًا إلى العلم والدراسة، ولذا سافر من موطنه ليتمرس بجميع طقوس الأسرار الدينية، سواء كانت يونانية أم أجنبية[7]. ولذا سافر إلى **مصر** لينهل من معين حكمتها الخالدة لمدة اثنين وعشرين عامًا كما يقول **يامبليخوس**[8]، حيث تعلم من كهنتها الأسرار المقدسة الخاصة بالآلهة التي كان محرّمًا التفوه بها كما يقول **ديوجينيس اللائرتي**[9]، ولقد نسب **يامبليخوس** (Iamblichus) إلى **طاليس المَلَطي** أن الأخير نصح فيثاغورس بأنه إذا أراد أن يصبح أحكم الرجال وأكثرهم ألوهية فعليه -أي

2 K. Freeman: The Pre-Socratic philosophers, 2nd ed. Basil Black Well Oxford, 1959, p.1

3 ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، فقرة 11، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، راجعه على الأصل اليوناني، محمد حمدي إبراهيم، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2014م، ص 18

4 K. Freeman: The Pre-Socratic philosophers, p 3

5 K. Freeman: The Pre-Socratic philosophers, p.80

6 د. الطيب بوعزة: فيثاغور والفيثاغورية بين سحر الرياضيات ولغز الوجود، ص 51

7 ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، فقرة 2، ص 11

8 Iamblichus: live of Pythagoras or Pythagoric life, translated from the Greek by Thomas Taylor, J.M. Watkins, London, 1818., chap IV, p 9.

9 ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، فقرة 3، ص 11

فيثاغورس- أن يتصل بالكهنة المصريين، وأن يتعلم على أيديهم الحكمة. لقد تشرب فيثاغورس الحكمة متعددة الجوانب من مصدرها الذي لا ينضب: من مصر[10]. فقد كانت مصرُ هي معلمته كما كانت معلّمَ الإنسانية الأول، ومهد الفكر المتمدين، على حد تعبير **هنري توماس**[11]. ويبدو أن من مصر أخذ فيثاغورس تقليدَ سريةِ المعرفة وضرورة خضوع طالبها إلى قواعد صارمة للتأكد من مدى استحقاقه واقتداره على حملها[12].

ومن مصر أُخِذَ فيثاغورس أسيراً من قِبَل الفرس المجوس (**Magoi**)، الذين احتلوا، بقيادة **قمبيز**، مصر عام 525 ق. إلى **بابل**، ليمكث بها اثني عشر عامًا، ثم يعود وهو في السادسة والخمسين من العمر إلى ساموس[13] ولكنه ما يلبث أن يسافر داخل العالم الإغريقي ليحصّل المعرفةَ من المعابد والهياكل: **أبوللو** في ديلوس **وساموتراس، وإيبمروس** و**إليوسيس** (موطن الأسرار **الإليوسية** (Eleusinian). **وطيبة، ومعبد دلفي، وجزيرة كريت، وجبل ديكيت، وإسبرطة** ليعود مرة أخرى إلى ساموس **عاقدًا العزم على البدء في إنجاز مشروعه لجمع أفكاره في منظومة واحدة ونقلها، والتي تطورت في رأسه على مدى عقود داخل مراكز دينية وعلمية في مختلف مدارس الفكر في البحر المتوسط**[14]. وأخيراً يستقر به المقام في **كروتون**، في جنوب إيطاليا، ليؤسس بها جماعته الفيثاغورية الفلسفية، وينشر منها فلسفته الخالدة إلى جميع أنحاء العالم. ولقد صدقت ملاحظة **هيراكليتوس** عن فيثاغورس، حينما ذكر أن **فيثاغورس** زاول البحثَ أكثر من غيره، ثم تخيّر مما اطلع عليه حكمةً ونسبها إلى نفسه[15].

من كل ذلك وصل فيثاغورس -كما يقول **يامبليخوس**[16]- إلى نظرياته في **النفس والحساب والموسيقى** وغيرها من المجالات الأخرى. **لقد أصبح الرجل الإلهي الذي استوعب كل أشكال الحكمة** لكي يصبح حكيمًا ورائيًا ومعلمًا ومحسنًا للجنس البشري[17]، هذه الحكمة التي شكلت في النهاية ما عُرف باسم الفلسفة الفيثاغورية، حيث دعا فيثاغورس إلى فلسفة دينية يكون هو نبيها المبشر بها.

---

10 د. مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، الجزء الأول، السابقون على السوفسطائيين، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م، ص 171

11 هنري توماس: أعلام الفلاسفة كيف نفهمهم، ترجمة: متري أمين، مراجعة وتقديم، د. زكي نجيب محمود، دار النهضة العربية، القاهرة، 1964، ص 3

12 د. الطيب بوعزة: فيثاغور والفيثاغورية بين سحر الرياضيات ولغز الوجود، ص 71

13 Iamblichus: live of Pythagoras or Pythagoric life, chap V1, p 9

14 جون ستروميير وبيتر ويستبروك: التناغم الإلهي، حياة فيثاغورس وتعاليمه، ترجمة وتقديم، شوقي جلال، المشروع القومي للترجمة، رقم 2019، القاهرة، 2012م، ص 44

15 هيراكليتوس: شذرة رقم 17، الترجمة العربية: د. أحمد فؤاد الأهواني، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2009م، ص 3

16 Iamblichus, live of Pythagoras or Pythagoric life, chap IV, p 9

17 Chrles. H. Kahn: Pythagoras and The Pythagoreans, Hackett Publishing Company, Cambridge, New Yourk 2001, p 6

ارتقى فيثاغورس إلى درجة التبجيل والتقديس من أتباعه وتلاميذه في المدرسة الذين يُطلقون عليه لفظ «**السيد**» و«**النبي**»، حيث كانوا يعتبرون أنه **لا ينطق إلا بوحي من الإله**، فكلماته مقدسة، يشير تلاميذه إلى هذه الكلمات بقولهم: قال المعلم نفسه[18]، ومن ثم فإنه صوت الإله إلى أتباعه وإلى الناس أجمعين[19]. يقول ديوجينيس اللائرتي[20] -نقلاً عن أرسيتيبوس القورينائي (Aristippus of Cyrene) في كتابه عن علماء الطبيعة (On The Physicists)-: «إن فيثاغورس قد سُمّي باسمه هذا، لأنه «**نطق بالحق**» تمامًا مثل **نبوءة الإله أبولون البيثية** (**Pythian Oracle**)»[21]. **بيثيا** التي كانت قد تنبأت بولادته؛ فمعنى كلمة **بيثاغورس** -كما يقول أريستيبوس القورينائي- **الناطق البيثي**؛ «Pythios» بمعني **البيثي**؛ أي (**الناطق** من مصدر الفعل **ينطق** أو **يتكلم** «**agoreuein**» باسم أبوللون البيثي)، حيث كان بيثاغورس يتكلم بلغة الرموز السرية (Symbola) لمهبط وحي الإله أبولون[22]. وكان معتادًا على ممارسة التنبؤ أو العرافة (mantike)[23]، وكان كثير من أتباعه يقولون عنه إنه **هو أبوللون نفسه**[24]؛ لذلك يصفه **يامبليخوس**[25]، كاتب سيرته، وفي أول فقرة من كتابه بأنه: «**فيثاغورس الإلهي**»، وأن فلسفته تستمد مصدرها من الآلهة ذاتها، وأنه لا يمكن فهم هذه الفلسفة دون معونتها الملهمة. أليس هو عبارة عن «**أصوات نبوءة تنطق بوحي من الإله؟**»[26] لقد كان فيثاغورس -على حد تعبير **كورنفورد**[27]- **الروح الحارس لمدرسته**. وكانت كلماته بمثابة **كلمات السيد** صاحب السلطة المطلقة، كما يصفه **إدوارد هُسي E.Hussey**[28]؛ فهو الرجل الذي أعجب به غاية الإعجاب ومجده **طابور طويل، ولانهائي، من المريدين والأتباع** الذين قدسوه باعتباره **نصف إله**، كما يقول **ثيودور جومبرتز**[29].

---

18 ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، فقرة 46، ص 48

19 د. مجدي كيلاني: الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، دراسة مصدرية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2009م، ص 63، وانظر أيضًا:

Diogenes Laertius ,Lives of Eminent Philosophers ,Vol ,11 .Trans by :R .D .Hicks ,M.A .Cambridge ,Massachusetts, Harvard university Press ,London1972 ,

20 ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، فقرة 16، ص 23. وراجع فقرة 17 حيث يورد ديوجينيس كثيرًا من هذه الرموز السرية مثل: لا تحرك النار بالسكين، لا تتخطى دعامة الميزان، لا تأكل قلبك، لا تعد أدراجك إلى الحدود عندما تكون مسافرًا.. إلخ وكذلك فقرة 18، حيث يفسر ديوجينيس هذه الرموز السرية.

21 Diogenes Laertius, Lives of Eminent Philosophers, 20-22, p 339

22 ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، فقرة 21، ص 26.وأيضًا هامش نفس الصفحة.

23 ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، فقرة 20، ص 25

24 ول ديورانت: قصة الحضارة، المجلد3، حياة اليونان، ترجمة: محمد بدران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001م، ص 293

25 Iamblichus, live of Pythagoras or Pythagoric life, chap 1, p1

26 ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، فقرة 14، ص 21

27 F.M.Cornford, From Religion To Philosophy, Princenton University press, Princenton, 1991, p. 201.

28 Edward Hussey, The Presocratics, p 64

29 Theodor Gomperz, The Greek Thinkers, trans By Laurie Magnus, John Murray, Albemarle Street, W, London, 1964, vol 1, p 99

احتفظ فيثاغورس بصفة القداسة حتى بعد وفاته (التي رُويت حولها الأساطيرُ كذلك: مات ذبحًا أو حرقًا أو صبرًا[30])؛ يدل على ذلك القصص التي رُويت بعد وفاته من أن المواطنين **الميتابونتيين** (Metapontinoi) قد أطلقوا على منزل فيثاغورث اسم «**معبد الربة ديميتر**»، كما أسموا رواق المنزل باسم **الموسيون** (معبد ربات الفنون)[31]، وأن روحه تنتسب إلى الإله **هيرميس**، لأنه كان في جسد **أيثاليديس** (Athalides) ابن الإله هيرميس[32]. ففيثاغورس في حياته -على حد تعبير **كريستوف ريدويج**[33]- صانع معجزات، وبعد مماته لمْ يعدْ أحدٌ من القدماء يشك في أنه من الرجال المقدسين، وأنه جمع بين تقاليد متصوفة الشرق والغرب معًا[34]. فيروى **فرفريوس**[35] أنه كان له **فخذ من الذهب**، وأنه كان صادق النبوءة، يتنبأ بالزلازل فتحدث، وكان يقمع الرياح العنيفة ويوقف البرد، ويهدئ العواصف سواء أكانت على الأنهار أم على البحار، من أجل أن يمر أصدقاؤه بأمان وراحة، وقد مجده هؤلاء الأصدقاء في قصائدهم ومنهم **أمبادوكليس** (Empedocles), **وأبيمنيديس** (Epimenides)، و**أباريس** (Abaris)، وقد تعلموا جميعًا منه فنَّ عمل هذه الأشياء العجيبة. وهناك رواية أخرى، عند **ديوجينيس اللائرتي**[36]- مفادها أنه حينما كان فيثاغورس يعبر نهر نيسوس Nessos، زعم عدد كبير من الناس أنهم سمعوا النهر يحادثه مرحبًا به. ولم يكن يحق لأحدٍ أن يُدهش إذا شوهد فيثاغورس في **كروتون** (Croton)، أو في **ميتابونتيوم** (Metapontum) في وقت واحد؛ فليس غريبًا على أمثاله من الكائنات التي تفوق طبيعتها طبيعة البشر أن يُرى في مكانين مختلفين في الوقت نفسه؛ أليس هو -كما يتساءل **شارلز كاهن**[37] ساخراً- الإله أبولون في صورة البشر؟!

ومع ذلك، كان **فيثاغورس** -كما يقول **برتراند راسل**[38] بحق- من أهم من شهدت الدنيا من رجال من الوجهة العقلية؛ **فالرياضة بمعنى التدليل القياسي القاطع، تبدأ بفيثاغورس، وهي عنده مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بصورة عجيبة من التصوف**؛ ولم يزل تأثير الرياضة في الفلسفة، الذي يُعزى إليه إلى حد ما، لم يزلْ منذ عهده إلى اليوم متصفً بالعمق وبعدم التوفيق في آن معًا.

---

30 راجع حول وفاة فيثاغورس، ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، الفصل الأول، فقرة 39، 40 ص 40، 41، 42

31 ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، فقرة 15، ص 22

32 ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، فقرة 4، ص 12

33 Christoph Riedweg, Pythagoras: His life, Teaching, and influence, translation from German By Steven Rendall, Cornell University Press, New Yourk.2008, p 2

34 Christoph Riedweg, Pythagoras: His life, p 1

35 Porphyry, The Life of Pythagoras, in K.S. Guthrie, Pythagorean Source Book and Library, Phanes Press, 1987, 28, 29

36 ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، فقرة 11، ص 18

37 Chrles. H. Kahn: Pythagoras and The Pythagoreans, p.5

38 برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الأول، الفلسفة القديمة، ترجمة: د. زكي نجيب محمود، راجعه د. أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1957م، ص 62

على ذلك تكون **الفيثاغورية** قد جاءت في موضعها الصحيح من حلقات تطور الفكر الفلسفي عند اليونان، وذلك أن العقل اليوناني بعد أن اتجه إلى المحسوس الخارجي يتلمس الحقيقة في ثناياه، اكتشفت أن هذا المحسوس إنما يخضع لنظام معين، وأن الرياضة هي التي تترجم عن هذا النظام، وكان على **فيثاغورس** أن يقوم بهذا الدور، وأن يكشف ما تنطوي عليه المحسوسات من نظام وترتيب تمثله الأعداد والخطوط[39]؛ فكان فيثاغورس هو -كما يصفه **جثري**[40]- **عبقري الرياضيات**.

نعم، إن المذهب الرئيس للفيثاغورية أصبح رياضيًا أو حسابيًا، وإن المعرفة الهندسية ترجع إليهم كما يقول **فلهلم فندلباند**[41]، ولكن تأويلي -كما أظن- لا يعد البحث الفيثاغوري في الرياضيات بحثًا رياضيًا خالصًا؛ بل بهدف ديني هو **أن يتمثل الإنسان ذلك الانتظام الرياضي الموجود بالكون، وأن يؤدي كل الطقوس السرية الأخرى المطلوبة منه**، وبذلك وحده تنتصر ذاته السماوية على جبلّته الأرضية؛ وبهذه الطريقة يضمن تحقيق السعادة الدائمة في العالم الآخر؛ حيث يتحرر من الجسد، وينعم بصحبة الأخيار[42]، بعد أن يحاول الوصول إلى تطهير مثمر ينتهي بانتظام النفس الكوني، وانسجامها الإلهي، وفي الأخير، **خلاصها من عجلة الميلاد الكئيبة**، حيث تُرفع الأرواحُ الطاهرة إلى أعلى عليين (في السماء)، وأما الأرواح المدنسة، فلا يسمح لها بالاقتراب من تلك الأرواح (الطاهرة)، على حد تعبير ديوجينيس اللائرتي[43]. لقد صبغ فيثاغورس ومدرسته الكونَ **بصبغة رياضية دينية ذات قداسة عُلوية**.

هذه الصِبْغَة الرياضية تمثل -بالتأكيد- اتجاهًا فلسفيًا جديدًا، لا تتميز فقط بالبحث في العلل الأولى للكون، والتي حددتها **بالأعداد** (arithmoi)، بل أيضًا ببلوغ **غاية صوفية**، هي التي نطلق عليها اسم «**التصوف الرياضي**»، كان لها أكبر الأثر في اجتذاب أعداد وفيرة من المريدين، والذين صاروا يشكلون **تلاميذ فيثاغورس** (الفيثاغوريين) على مر العصور، فيما بين القرنين الخامس والرابع، ثم القرن الثاني والأول قبل الميلاد، وحتى القرن الأول الميلادي.

---

39 د. محمد على أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي, الفلسفة اليونانية، الجزء الأول: من طاليس إلى أفلاطون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م، ص 55

40 W.K.C. Guthrie, The Greek Philosophers from Thales to Aristotle, Routledge, London and New Yourk, 1991, p 15

41 Wilhelm Windelband, History of Ancient Philosophy, Trans by H. E Cushman, Dover publication Inc, London, 1956, Vol 1, p 45

42 K. Freeman: The Pre-Socratic philosophers, p.15

43 ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، فقرة 31، ص 33

ثانيًا: فلسفة فيثاغورس في النفس

- **النفس: البداية والنهاية**

سيبدأ مع الفيثاغورية -كما يقول **إدوارد زيلر**[44]- نمطٌ جديدٌ امتزج بالفكر اليوناني، وكان غريبًا على الطبيعة اليونانية، هذا النمط الجديد من التفكير نشأ عن امتزاج الفكر اليوناني بعنصر أجنبي انتقل إليه عبر **التصوف الأورفي (Orphic Mysticism)**، وسوف يؤدي إلى أشكال أخرى جديدة من التفكير جديرة بالملاحظة. وإذا كانت الديانة الأورفية تُعدّ حركةَ إصلاحٍ للديونيسية، فإن الفيثاغورية هي بدورها حركة إصلاح للأورفية كما يقول **كورنفورد**[45].

لقد لخص **فرفوريوس**[46] -في سيرة فيثاغورس- عقيدته في النفس، بقوله: «ومع ذلك أصبحت الآراء التالية معروفة عمومًا، **أولاً**: أن فيثاغورس كان يقول **بخلود النفس، ثانيًا**: أنها **تتحول إلى أشكال حية مختلفة**، وأن الأحداث تتعاقب على سبيل الدور، فما من جديد تحت الشمس. **وأخيرًا**: أن **جميع الكائنات الحية يجب أن تُعد أقرباء**، ويضيف **فرفريوس**[47] أن **فيثاغورس** أول من أدخل هذه المعتقدات إلى بلاد اليونان، وهو ما يثير الإشكال المستعصي حول مصدر هذه المعتقدات، ولاسيما عقيدة **التناسخ** منها، التي يعود إلى **أفلاطون** الفضل في بسطها بإسهاب في عدد من محاوراته، أهما **الجمهورية وفيدون وفايدروس** وسواها.

النفس هي بداية القصة ونهايتها في الفلسفة الفيثاغورية؛ منها تنطلق في بناء نظرية متكاملة عن وجود النفس السابق على البدن، واقترافها ذنبًا في عالم علوي مقدس، فينتج عنها هبوطها إلى سجن البدن، وتخضع للتناسخ والولادات المتكررة بغية التطهير، وعودتها إلى **العالم الإلهي** (Divine World)[48]، وإليها -النفس- تنتهي القصة: بالتطهير عن طريق نوع من التصوف هو ما نطلق عليه اسم «**التصوف الرياضي**»، ومن ثم استحقاقها لعودتها إلى مصدرها الأصلي واتحادها، وعودتها إلى الإله الذي وهبها هذه القدسية، كي تستحق الخلود لا الفناء بعد الموت. هذه هي إذًا **فصولُ الفلسفةِ الفيثاغورية**: تبدأ بالنفس

---

44 Zeller, Outlines of The History of Greek Philosophy, Trans by, LR. Plamer, 13th Ed, Dover Publications Inc, New York, 1980. p.47

45 F.M.Cornford: From Religion To Philosophy, p 198

46 Porphyrius, Vita Pythagorae, 19, in G.S.Kirk & J.E.Raven, The Presocratic Philosophers, Cambridge At The University Press, 1957, p223. (تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين وبرَقلِس، دار العلم :فخري ماجد للدكتور النص وترجمة للملايين، بيروت، 1991م، ص 24)

47 د. ماجد فخري: : تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 24

48 A H.Armstrong, An Introduction To Ancient Philosophy, Methuen & CO, LTD, London, 1981, p 7

لتنتهيَ إليها؛ عودًا على بدءٍ؛ ونهايةً مستكملةً لبدايةٍ. لنبدأ إذن القصةَ من بدايتها، من نظرية الفيثاغوريين في النفس:

- **الوجود السابق للنفس**

النفسُ منفصلةٌ عن البدن؛ أي أن جوهرها مختلفٌ عن جوهر البدن؛ لأنها ذات جوهر إلهي. وعلى ذلك، تكون **طبيعة الإنسان ثنائية**؛ أي أنه مؤلف من نفس وبدن: ففي حين أننا نجد أن البدن فانٍ، نجد أن النفس كانت موجودةً قبل حلولها في البدن وأنها خالدة، والنفس قد سُجنت في البدن وتعيش فيه، وكأنها في قبر، لأنها تتلقى عقابًا على ذنب اقترفته[49]. ونتيجة لهذا الذنب تُعاقب بالهبوط إلى البدن:

- **هبوطُ النفسِ إلى البدن**

ورث فيثاغورس مذهبه في النفس من **الأورفية:** إن النفس هبطت إلى الأرض بعد اقترافها لذنبٍ عظيم، فقررت الآلهة عقاب النفس عقابًا عظيمًا جراء ما اقترفته من ذنبٍ في زمنٍ سابق قبل حلولها إلى البدن. فكان عقاب النفس **تركها لذلك الوجود السماوي الإلهي السعيد**، وهبوطها إلى البدن لتكابد العيش داخل جسد، هو أرضي وطيني بحكم طبيعته، فتشقى بشقائه؛ فالبدن عقوبة للنفس، وهو سجن لها تقضي فيه فترة عقوبتها في هذه الحياة الدنيا، ثم تستعيد بعدها سلامها ووحدتها الأولى[50].

- **البدن سجن النفس**

في محاورة **فيدون** لأفلاطون يشيد أفلاطون بما ورد في طقوس الفيثاغوريين السرية بخصوص عقيدة الأورفية التي تنادي **بأننا سجناء هذا البدن**، يقول **أفلاطون**: «هناك مذهب جرت به الألسنة في الخفاء **بأن الإنسان سجين**، وليس له الحق في أن يفتح باب سجنه ليفر هاربًا، إن ذلك إشكال عظيم ولست أفهمه فهمًا دقيقًا، ولكني أعتقد مع ذلك **أن الآلهة هم أولياؤنا وأننا ملك لهم**»[51]. وفي محاورة أفلاطون **كراتيليوس (Cratylus)**، يشير أفلاطون إلى تأثر الفيثاغوريين بالأورفيين في قولهم إن **الجسد (سوما)** هو **مقبرة (سيما) النفس (بسيخي)**. التي يعتقدون بأنها مسجونة في الجسد، في الحياة الراهنة، ومن المحتمل -كما يقول أفلاطون- أن الشعراء **الأورفيين** هم من قال بذلك، وأنهم كانوا متأثرين بفكرة أن النفس تتلقى عقابًا على ذنب ما اقترفته، **وأن الجسم سياج أو سجن تُحجز فيه النفس**، وتُحفظ سالمة، كما يشير الاسم **سوما** حتى تتم

49 د. محمد فتحي عبد الله: المدرسة الفيثاغورية: مصادرها ونظرياتها، الدلتا للطباعة، الإسكندرية، 1989م، ص 72

50 F.M.Cornford, From Religion To Philosophy, p.208

51 أفلاطون، فيدون، فقرة 62، ب، محاورات أفلاطون، عربها عن الإنجليزية د. زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1966م، ص 120، وأيضًا فيدون (في خلود النفس) ترجمها عن النص اليوناني مع مقدمات وشروح د. عزت قرني، مكتبة الحرية الحديثة، جامعة عين شمس، القاهرة، 1979م، ص 150

العقوبة[52]. أما في محاورة **جورجياس**، فيؤيد أفلاطون الفيثاغوريين في قولهم **إننا الآن موتى**!: «إن حياتنا الحاضرة هي **بمثابة الموت**، وأن جسدنا قبر، وأن هذا الجزء من النفس الذي تقوم فيه الأهواء يخضع، بحكم طبيعته، لأشد الدوافع تناقضًا... وهو (أي ذلك الفيثاغوري الذي يتحدث عنه أفلاطون).. يسمى ذلك الجزء من النفس الذي تقوم به الأهواء عند الحمقى **بالدَّنّ (الوعاء) المثقوب**، نظرًا لأنه فاسد وغير قادر على أن يحتفظ بشيء، وذلك تلميح على طبيعتهم التي لا تشبع، وهو يرينا **أن غير المطلعين على الأسرار هم الأشدُّ بقاءً بين سكان الهاديس**، لأنهم مضطرون لأن يسكبوا في **دِنان (أوعية)** لا قرار لها الماءَ الذي يجلبونه بـ «**غرابيل**» عاجزة أيضًا عن احتجازه، والمقصود بهذه «**الغرابيل**» هي النفس، وهو **يقارن نفس الحمقى بالغربال**، لأنها كثيرة الثقوب، يتسرب منها كلُّ شيء»[53]. تعطي كُتب الأورفية -كما يقول أفلاطون- توجيهًا عن التطهير الخاص والعام بواسطة تقديم القرابين للأحياء والأموات ويسمونها (τελεται=**Teletai**) أي **شعائر الهداية**، والتي إذا نُفذت تحمينا من الأذى في العالم الآخر، بينما إذا فشلنا في القيام بها، فإن **آلامًا مهولةً** تنتظرنا[54].

لكن هذه الحالة من سجن النفس في البدن هي **حالة غير حتمية**؛ إذ يمكن للنفس أن تصبح **دَنًّا غيرَ مثقوب**، وأن تتخلص من سجن البدن، وتعود إلى المنبع الصافي الذي جاءت منه، إلى عالمها السماوي الإلهي السعيد. وهنا نلمح **فكرةَ حريةِ الإرادة الإنسانية** وقدرتها على تحقيق الخلاص الأبدي للنفس إذا ما اتبعت الفلسفةُ «**طريقةَ الحياة الجديدة**» التي ينادي بها فيثاغورس، ويتطلب تحقيقها والوصول إليها الإيمان بفكرة التناسخ أولاً، والتطهير النظري ثانيًا... هذا هو جوهر الفلسفة الفيثاغورية وطريقتها الجديدة في الحياة، فلنستمر في محاولة رسم معالم هذا الطريق من **التصوف الرياضي**، ولنفحص أولاً تناسخ النفس:

- **تناسخ النفس (Metempsychosis=μετεμψυχοσις)**

إن أساس المعتقد الديني لفيثاغورس هو مذهبه في تناسخ النفوس[55]، وهو مفهوم مرتبط بمشكلة **الخلود**، ومشكلة الخلود مرتبطة ارتباطًا وثيقًا **بالعمر والزمن**، وكلاهما متعلق **بالأعداد** التي هي، قبل كل شيء، مقاييس الزمن، وكلها تشكل موضوعًا واحدًا يتمحور حول الحياة التأملية والإلهية للنفس، كما

52 أفلاطون: كراتيليوس (في فلسفة اللغة)، ترجم المحاورة وقدم لها بدراسة تحليلية الدكتور عزمي طه السيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، 1995، فقرة 400، ب، ج، ص ص 123- 124

53 أفلاطون: جورجياس، ترجمها عن الفرنسة محمد حسن ظاظا، راجعها الدكتور على سامي النشار، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة 1970م، فقرة 493 أ، ب، ص ص 101-102

54 د. محمد فتحي عبد الله: النحلة الأورفية، أصولها وآثارها في العالم اليوناني، الدار الأندلسية، الإسكندرية، 1990م، ص17. كذلك انظر: أفلاطون: الجمهورية، 364 د، ترجمة ودراسة، د. فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م، ص 228

55 K. Freeman: The Pre-Socratic Phiosophers, p.78

يقول **جوليان ماریاس**[56]. كان فيثاغورس يصرح بأن النفس -أو الروح- التي ترتبط طورًا بأحد الكائنات الحية وطوراً بكائن حي آخر- تنتقل من مسار دائري تفرضه الحتمية. وكان يقول عن نفسه إنه عاد إلى عالم البشر (الأحياء) بعد أن أمضى في هاديس (عالم الموتى) سبعة أعوام ومائتين![57]. ويحدثنا الفيلسوف **اكسينوفانيس** -الذي كان معاصرًا لفيثاغورس- أن فيثاغورس أوقف شخصًا عن ضرب كلب يعوي، لأنه عَرِفَ فيه صوتَ أحدِ أصدقائه! ويذهب **هرقليدس بونتيكوس** (القرن الرابع ق.م.) **أن فيثاغورس كان يؤمن بوجود نفسه في أجساد أخرى سابقة**، تبدأ من **هرمس** إله الحكمة، ثم **إيثاليدس Aithalides** ابن الإله **هرمس**، ثم **ليوفوربوس** Euphorbos، ثم **هيرموتيموس**، ثم **بيروس Pyrrhos** الصياد، ثم **فيثاغورس**[58]. وتشمل هذه الدائرة المكونة من ستة أشخاص 326 سنة؛ أي مكعب العدد 6. وتمضي القصة، فتحدثنا أن **هرمس** طلب من **إيثاليدس** أن يهبه ما يريد ما عدا الخلود، فاختار «**التذكر**». ونحن نعلم أن مذهب **أفلاطون** في المعرفة يقوم على أن العلم تذكر؛ أي إن النفس تتذكر ما كانت تعرفه في وجودها السابق في عالم الآلهة، مما يبين تأثر أفلاطون بفيثاغورس ومذهبه[59]. وهناك شذرة منسوبة إلى **ثيانو** -زوجة فيثاغورس- تقرر خلود النفس والتناسخ، حيث تؤكد **ثيانو أن الفيثاغوريين آمنوا بوجود عدالة إلهية في الحياة الأخروية، في تناسخ الأرواح عقيب الموت، وانتقالها إلى جسد آخر جديد**، والذي قد لا يكون بالضرورة جسدًا بشريًا. إننا نستشف من هذه الشذرة صورةً لعملية التناسخ، والتي من خلالها يُعاد نشر التناغم في الكون من جديد، عندما يحدث ويخرق شخص ما هذا التناغم حين ينتهك حرمة القانون الأخلاقي في حياته السالفة. وتربط **ثيانو** الأخلاق **بالكوسمولوجيا**، عندما تبين العلّة التي توجب عدم الشك في خلود النفس، فتقول **ثيانو**: «**لو كانت النفس فانية - فإن الحياة ستصبح مهرجانًا عابثًا للأشرار الذين يموتون بعد أن يكونوا قد عاشوا حياتهم بكل ظلم وعبثية**»؛ أما في كونٍ متناغمٍ ذي قوانين، فلكل شيء مكانه الخاص به، ويقوم بتأدية وظائفه الخاصة به وفقًا لقانون ما؛ فهناك قوانين الطبيعة، وقوانين المنطق، وقوانين الدين والأخلاق، في حين أن الشر أو الأفعال غير الأخلاقية هي أفعال مضادة للقانون، وتسهم في انتشار الفوضى والاضطراب. فلو كانت النفس فانية -وفقًا لما ترى **ثيانو**- فإن أولئك الذين يسهمون في انتشار الفوضى لن يحصلوا فحسب على نوع من الحرية غير المقيدة في ظلم أولئك الذين يظلمونهم مدى الحياة كلها، بل إنهم يدمرون أيضاً النظام الدقيق للكون كله؛ فإذا كان واجبًا إعادة النظام والتناغم مرة ثانية إلى الكون، فإنه يجب أن تكون النفوس خالدة، وتتم عملية إعادة النظام هذه من خلال تلقي الظالم عقابًا

56 Julian Marias, history of philosophy, translated from Spanish By Stanley Appelbaum and Clarence C.Strowbridge, Dover Publications, Inc, New York, 1967, p 18

57 ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، فقرة 14، ص ص 20-21

58 ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، فقرة 4، 5، ص ص 12-13

59 د. أحمد فؤاد الأهواني: فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، ص 78

عادلاً على ظلمه، بأن يعاد من جديد في جسد كائن أدنى منزلة من الموجود البشري، وبأن يعيش هذه الحياة الأخيرة بالشكل الذي يتطلبه القانون الأخلاقي[60].

وعلى ذلك تُعدّ **عقيدة التناسخ** محور تعاليم فيثاغورس وعليها تدور مجاهدات الفيثاغوريين وطقوسهم الدينية ومبادئهم الأخلاقية[61]. وهذا هو الأثر الأورفي على المذهب الفيثاغوري[62]، حيث ذهب الأورفيون إلى القول بالتناسخ؛ أي هجرة الأرواح من جسد إلى آخر بين الكائنات، وهو ما يمثل «عجلة» متتابعة الحلقات من الولادة والموت، أو «دورة مرهقة محزنة» من الموت والميلاد من جديد، ويكون الهدف الرئيس من أداء الطقوس والمناسك الأورفية هو تخليص الروح من «عجلة الولادة»؛ وذلك يتم عن طريق التناسخ عبر الأشكال الحيوانية والنباتية، حتى تعود الروح المحررة، مرة أخرى إلهاً، وتتمتع، حين ذاك، بالنعيم الأبدي[63].

- **القرابة بين جميع الكائنات الحية**

يعتقد فيثاغورس أن هناك صلةً وثيقةً من القرابة تجمع بين البشر والأرباب، من حيث إن الإنسان يحظى بمقدار من الحرارة يتشارك فيه، مع غيره من البشر، ومن هنا فإن الإله يرعانا، بوصفنا بشرًا، ويعتني بنا[64]. تصور الفيثاغوريون أن النفس يمكن أن تفارق البدن، إما مفارقة مؤقتة أو دائمة، وأنها يمكن أن تعيش في بدن شخص آخر أو حيوان. إن جوهر الفيثاغورية هو الاعتقاد في خلود النفس وانتقالها من خلال **سلسلة من التجسدات**، ليس فقط في أجسام بشرية، ولكن في أجسام المخلوقات الأخرى. ولعل ذلك -كما يقول **جثري**[65]- يفسر أهم **المحرمات الفيثاغورية**، أعني تحريم أكل **اللحوم (brota)** فربما كان لحم الحيوان أو الطير الذي تأكله تسكنه روح جدتك! وإن كان ذلك لا يمكنه أن يفسر بقية المحرمات الفيثاغورية، التي يسميها ديوجينيس «**رموزه السرية** **συμβολα=symbola**» والتي أيضًا حاول اللائرتي تفسير بعضها وترك بعضها، مثل لا تحرك النار بالسكين، لا تتخطى دعامة الميزان، لا تأكل قلبك، لا تجلس فوق **مكيال الخوينيكس**، (Choinix، حبوب جافة) وغيرها[66] لأنه من الصعب علينا -كما يقول **جوليان مارياس**

60 ماري إيلين ويث: تاريخ النساء الفلاسفة في العصرين اليوناني والروماني، ترجمة د. محمود مراد، مراجعة، د. محمد فتحي عبد الله، دار الوفاء، الإسكندرية، 2000م، ص ص 53-52

61 د. محمد على أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي, الفلسفة اليونانية، الجزء الأول: من طاليس إلى أفلاطون، ص 59

62 د. حربي عباس عطيتو: ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، 1995، ص 72

63 J. Burnet: Early Greek Philosophy, 4 th ed, Adam & Charles-Black, London, 1975, p.82.

64 ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، فقرة 27، ص 30

65 W.K.C.Guthrie, The Greek Philosophers from Thales to Aristotle, p 36

66 ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، فقرة 17، 18، 19، 33، 34، 35، صفحات 23، 24، 25، 35، 36، 37

بحق[67]- أن نرى أيةَ معقوليةٍ وراء هذه القواعد. لكن الأمر المؤكد هو عقيدةُ **الترابطِ الشامل بين جميع فصائل الكائنات الحية**، من نبات وحيوان وإنسان. إن الحياة كلها **قرابة واحدة** شاملة والكون كلّ واحد، بل **كائن حي واحد**[68]. وهذا المذهب يمكن أن نعده مبدأ الفيثاغورية الأول، وهو أثر من آثار المعتقدات القديمة التي تتضمن فكرة **التعاطف السحري**[69]. وعلى ذلك، يُلاحظ أن **فكرة الأخوّة** التي نادى بها الفيثاغوريون **مستمدة من عقيدتهم في التناسخ**. وكان من نتائج مذهبهم هذا أن عُدّتِ **المرأةُ في جماعتهم مساويةً للرجل ولها نفس حقوقه**. وكذلك ظهر اتجاه إلى **معاملة العبيد معاملة إنسانية**[70]. إن مذهب التناسخ -كما يقول **برهييه**[71]- قد ألف بالفعل جزءاً من العقيدة الأولية للمدرسة الفيثاغورية، فهو متأتٍ، في أرجح الظن، من ذلك الإيمان عينه بوَحْدَة جميع الكائنات الحية الذي منه تحدر مذهب التناسخ. **لذا، فالمذهب الفيثاغوري في جوهره عبارة عن أخوية دينية وليس فرقة سياسية، فالغرض الأساس للجماعة الفيثاغورية هو زرع القداسة في نفوس أعضائها كما يقول بيرنت**[72]. **لذا يمكننا القول: الأعداد واحدة ..الجماعة واحدة .. التناسخ واحد ..المصير واحد!**

- **خلود النفس**

لقد مثل ذلك **الطريق الجديد من التفكير استجابةً قويةً لرُوح القرن السادس قبل الميلاد، ذلك الرُوح الديني بامتياز**؛ حيث لعبتِ المشكلاتُ الدينية دورًا أكثر أهمية بكثير في تعاليم فلاسفة المدرسة الإيطالية مقارنة مع الأيونيين، حيث بُحثت بعناية أكبر نظرياتٌ معقدةٌ عن الإله وخلود النفس وطبيعة الإنسان[73]. **فالنفس أو الروح** -كما يؤمن فيثاغورس- **خالدة، مادام ذلك الذي انفصلت عنه خالد**[74]. ويعتقد فيثاغورس أن نفس الإنسان تنقسم إلى ثلاثة أقسام، هي: الذكاء «nous»، والعقل «phren»، والانفعال «thymos». والعقل خالد، أما الأجزاء الأخرى ففانية[75].

---

67 Julian Marias, history of philosophy, p 16

68 W.K.C.Guthrie, The Greek Philosophers from Thales to Aristotle, p 15

69 Ibid, p 15

70 د. محمد على أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي، الفلسفة اليونانية، الجزء الأول: من طاليس إلى أفلاطون، ص ص 61-62

71 إميل برهييه: تاريخ الفلسفة، ص 69

72 G. Burnet: Early Greek Philosophy, p.89

73 A.S.Bogomolov, History of Ancient Philosophy, Greece and Rome, trans by: V. Stankerich, Progress Publis - ers, Moscow, 1985, p 65

74 ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، فقرة 28، ص 31

75 ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، فقرة 30، ص 32

لقد تم **تصوير الخلود عند فيثاغورس** -ونتفق في ذلك **شارلز كاهن**[76]- **بمعنيين**: **الأول؛ من حيث التناسخ (مع ارتباط التناسخ بفكرة القرابة بين جميع الكائنات الحية)، والثاني؛ من حيث إمكانية التطهير، والهروب من عجلة الولادات المتكررة ومن قيود الجسد وعبوديته**. وإذا كان الفيثاغوريون يتفقون مع الأورفيين في الغاية التي يستهدفونها من التناسخ -وهي تحرير النفس من عجلة الميلاد؛ أي من دائرة الولادات المتعددة، وخلاصها إلى المقام الأعلى حيث السعادة التامة، وذلك بعد سلوك طريق التطهير من الحس وسائر العلائق الأرضية- إلا إننا نلاحظ هنا أن الطقوس والشعائر التي كان يلتزم بها الفيثاغوريون في هذا المجال تختلف عن مثيلاتها عند الأورفيين من حيث إنها تتخذ طابعًا عقليًا أخلاقيًا عند الفيثاغوريين[77]. طابعاً سوف تكون الرياضيات جوهرَه، وهو الأمر الذي جعل من الفيثاغورية **فلسفةً** وليست مجرد ديانة سرية كالأورفية، الأمر الذي سيتضح -كما نرجو- بجلاء عند حديثنا عن «**التطهر النظري**» أو «**التصوف الرياضي عند فيثاغورس**».

لقد كانت فلسفة فيثاغورس في النفس هي المنوطة بأداء هذا الدور الجديد، هي **فلسفة محبة الحكمة**؛ وليست محبة الحكمة إلا ذلك الطريق الذي بدايته النفس الإنسانية ونهايته هو خلاصها من عجلة الميلاد المتكرر، واتحادها بالإله الذي تسعى جاهدةً إليه؛ **حيث يعتقد فيثاغورس -كما يروي ديوجينيس**[78]- **أن هناك صلة وثيقة بين البشر والإله، وأن الإله يرعانا ويعتني بنا**.

فالفلسفة طريقةُ حياةٍ للنفس، التي كان لها وجود سابق على البدن، ونتيجة لاقترافها ذنبًا عُوقبت بهبوطها إلى البدن الذي سيصير سجنًا لها، ولكي تتطهر عليها أن تمر بأدوار من التناسخ الحيواني أو النباتي، وعليها أيضًا أن تتطهر بالعلم النظري، وذلك لن يكون إلا بممارسة التصوف الرياضي لضمان خلاص النفس.

76 Chrles. H. Kahn: Pythagoras and The Pythagoreans, p4

77 د. محمد فتحي عبد الله: المدرسة الفيثاغورية، ص 77

78 ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، فقرة 27، ص 30

ثالثًا: التصوف الرياضي وخلاص النفس

- **دَيْرُ الفلسفةِ المقدس**

سوف يكون **طلب المعرفة الخالصة أعظم تطهيرًا**، وأن أسمى ضرب من ضروب الحياة هو الحياة النظرية أو التأملية[79] فأعظم تطهير هو -بنظر فيثاغورس وأتباعه-: العلم المجرد عن الغرض[80]. لقد قدم **الفيثاغوريون** (**Πυθαγορειοι=Pythagoreioi**) مجموعةَ قواعد لتطهير النفس، وأخرى لتطهير البدن. وهذا الموضوع يرتبط بعقيدة التناسخ. ولا يعنينا هنا إلا التحدث عن قواعد تطهير النفس تطهيرًا يعتمد التصوف الرياضي. ولنطرح التساؤل مرة أخرى: **كيف يتم التطهير عند الفيثاغوريين؟ أو بمعنى آخر، كيف تتخلص النفس من دائرة الولادات المتعددة وتصل إلى مقام الحكمة والعلم؟**

الإبداع الفلسفي العبقري الجديد الذي يقدمه لنا فيثاغورس -والفلسفة الفيثاغورية- هو إضافة ما يمكن أن نسميه **بالتطهر الرياضي العلمي**، أو ما يمكن تسميته بـ «**التطهر النظري**»، إضافة إلى النوع التقليدي من التطهر الأورفي، والذي يمكننا أن نسميه بـ «**التطهر العملي**» (= المحرمات Taboos الفيثاغورية المشهورة، مثل تحريم أكل رغيف كامل من الخبز، الديوك البيضاء، الفول (kyamos)، اللحم، السمك (ichthyos)، البيض (wa) إلخ[81]. للوصول إلى درجة «**الاتحاد بالإله**»، فإذا وصلت النفس إلى هذه المرحلة الأخيرة -في نهاية رحلتها الطويلة- من «**أدوار التناسخ**» هذه إلى الاستقرار في «**وَحْدَة مع الإله**» تكون الفلسفة الفيثاغورية قد أتمت مهمتها الكبرى.

كان منهج الدراسة -الذي يقوم عليه **التصوف الرياضي**- يتألف من أربعة موضوعات: **الأعداد، والفلك والموسيقى**، إضافة إلى **علم الطب**. وهذه كلها قد نُظر إليها على أنها «**مُعينات**» لها قيمتها في تهذيب النفس[82]. إن هذه المُعينات نرى أنها لم تكن مقصودة لذاتها بالنسبة إلى فيثاغورس وأتباعه، وإنما لتقريب أفكارهم الصوفية الرياضية إلى أذهان مريديهم، ولعلها الأمثلة نفسها التي كانت تُضرب لصغار الطلبة الذين لم تنضج عقولهم بالقدر الكافي. أما المذهب الحقيقي، فهو **للخاصة** أو **المنتظمين** في سلك **دَيْر الفلسفة الفيثاغورية**، أو الذين نطلق عليهم اسم «**الماثماتيكوي**» (Mathematikoi)، فلعلهم لم يكونوا في حاجة إلى ضرب الأمثلة التي اشتجر حولها المؤرخون وظنوا أنها حقيقية، وأنها تنتمي إلى العلم متناسين إنها مجرد أمثلة، أو رموز

79 جورج سارتون: تاريخ العلم، الجزء الأول، ترجمة لفيف من العلماء بإشراف د. إبراهيم بيومي مدكور، دار المعارف، القاهرة، 1991م، ص 441

80 بيير دوكاسيه: الفلسفات الكبرى، الطبعة الثانية، ترجمة: جورج يونس، منشورات عويدات، بيروت، 1977م، ص 26

81 K. Freeman: The Pre-Socratic philosophers, p.79-80

82 فردريك كوبلستون: تاريخ الفلسفة، المجلد الأول (اليونان وروما)، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م، ص 66

ربما لم تُضرب إلا للصغار فقط، وهم من يسمون **بالعامة** أو **الجمهور** أو **المستمعين** «**الأكوسماتيكوي**» (Akousmatikoi)! وهذا التقسيم نشأ عن فيثاغورس نفسه وليس من أتباعه كما يقول -راوي سيرته الأفلاطوني المحدث- **فرفريوس**[83]. يعني تقسيم التلاميذ إلى مستمعين يظلون لمدة خمس سنوات صامتين، لا يفعلون شيئًا سوى الاستماع إلى محاضرات أستاذهم دون أن تقع أبصارهم على شخص فيثاغورس، إلى أن يجتازوا الاختبار؛ ومن ثم يُسمح لهم بعد ذلك بدخول منزله، ويُباح لهم مشاهدته ورؤيته بأعينهم[84].

لنفحص إذن **الإلهيات الحسابية**؛ ولنفحص «**هذا التطهر النظري**»، **الذي نطلق عليه: التصوف الرياضي عند فيثاغورس:**

1- الأعداد: لاهوت الرياضيات

- **الإلهيات الحسابية Theologumena tes arithmetices**

لعل الفيثاغوريين كانوا أول من استعمل كلمة **ماثماتيكي** (μαθματικη= Mathmatike)، بمعنى الرياضيات، فقد كانت قبل أيامهم تستخدم للدلالة على **تعلم أي شيء مهما يكن نوعه**. وكانت كل خطوة في القضايا المنطقية المتتالية ترفع الطالب إلى مستوى أعلى من مستواه السابق -على حد قول الفيثاغوريين- يستطيع منه أن يطلع أكثر من ذي قبل على العالم[85]. يقول **أرسطو**[86] في كتابه **الميتافيزيقا**: «**لقد كان الفيثاغوريون قد كرسوا أنفسهم للرياضيات**، كما كانوا أول من دفع بهذه الدراسة إلى الأمام، ولما كانوا قد تقدموا بها فقد اعتقدوا **أن مبادئها هي مبادئ الأشياء جميعًا**، وما دامت أن مبادئ العدد هذه هي الأولى بالطبيعة. ولأنهم رأوا في الأعداد فيما يبدو الكثير من المتشابهات بين ما هو موجود، وبين النار والتراب والماء، **وما داموا قد وجدوا من ناحية أخرى أن خصائص ونسب السلم الموسيقي يمكن التعبير عنها بالأعداد، فقد بدت الأعداد على أنها أول الأشياء** جميعًا، **والسماء ككل هي سُلَم موسيقي وعدد. وجميع خواص الأعداد والسُلَم التي استطاعوا أن يبنوا اتفاقها مع صفات وأجزاء ونظام السماوات كلها، جمعوها وجعلوها تناسب خطتهم**».

وأني لأرى أن هذه الخطة ما هي إلا مذهبهم الديني الذي يسعون إليه. لقد كانت الرياضيات الفيثاغورية **رياضيات إلهية**، ولها **خطة مقدسة** اعتبرت **أن العالمَ عددٌ**. لنفحص الآن هذه الخطة المقدسة:

---

83 Porphyrius, Vita Pythagorae, 37, in G.S.Kirk & J.E.Raven, The Presocratic Philosophers, p 227

84 ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، فقرة 10، ص 17

85 ول ديورانت: قصة الحضارة، حياة اليونان، ص 296

86 أرسطو: الميتافيزيقا، ترجمة كاملة لكتاب ميتافيزيقا أرسطو، د. إمام عبد الفتاح إمام، ضمن كتابه: مدخل إلى الميتافيزيقا، الطبعة الرابعة، نهضة مصر، القاهرة، 2014م، 1, 5، 985 ب، 986 أ، ص ص 268-267

- **الخطة المقدسة: العالم عدد (arithmos)**

نأتي هنا إلى -على حدّ تعبير **بوجومولوف**[87]- **مركز المذهب** الفيثاغوري الفلسفي، والذي يمكن تلخيصه في جملة: «**الأشياء أعداد**». وجه فيثاغورس انتباهه إلى ما في العالم من نظام وتناسب، فذهب إلى أن هذا العالم أشبه بالأعداد، **أرثموي** (arithmoi) منه **بالماء** أو **النار** أو **التراب**، فاعتبر أن الأعداد هي **المبادئ الأولى** (prwtai archai)، للموجودات وأن الأعداد إنما هي نماذج تحاكيها الموجودات[88].

لقد ذهب فيثاغورس إلى أن الأشياء كلها أعداد، ونحن -كما يقول **برتراند رسل**[89] بحق- إذا فهمنا هذه العبارة من وجهة نظر حديثة وجدناها **كلامًا ليس له معنى**، وإلا فما معنى أن يكون العدد سبعة هو الزمن المناسب، أو الفرصة، وكيف ندلل على أن العدد أربعة يعني العدالة، أو أن العدد ثلاثة يعني الزواج[90]؟! إن علم الحساب في أيامنا هذه يعني شيئًا مختلفًا تمامًا عما كان يعنيه للفيثاغوريين، ذلك العلم الذي يصفه العلماء بأنه «**لغة العلوم**»، وبأنه أداة رئيسة في دراسة طبيعة المجتمع. بيد أن اليونانيين رأوا فيه شكلاً من الحكمة المجردة ليس لها أية علاقة بالنشاطات العملية[91]. ويبدو أن الأعداد ورموزها شيئان متطابقان للمفكر الحديث، إلا أنهما كانا مختلفين تمامًا للفيثاغوريين القدماء، إذ إن طبيعتهما تتوقفان على السياق وعلى ما كانت تتضمنه العملية، **ففي علم الحساب، كانت الأعداد تعتبر أشياء مجردة روحانية**، في حين كانت رموزها تعتبر محددة ليس لها وجود مستقل عن الأشياء التي تصفها[92]. ولا يوجد احتمال بأن فيثاغورس كان أول من جاء بالمبرهنة الشهيرة التي تنص على أنه «في مثلث قائم الزاوية مربع الوتر يساوي مجموع الضلعين الآخرين». هذه المبرهنة التي قال عنها **بروكلوس** في شرحه على كتاب **يوقليديس** (أقليديس) بأن فيثاغورس لما اكتشفها ذبح ثوراً قُربانًا بسبب هذا الاكتشاف، فالمبرهنة كانت معروفة في بابل، والصين، من مسح الأراضي، وفي مصر (التي زارها فيثاغورس) من بناء الأهرامات، وذلك قبل ولادته بقرون[93]. إن فلسفة الرياضيات هذه -فلسفة العلاقات المتبادلة بين الأرقام جميعها- قد كانت، عند فيثاغورس، **الإجابة عن النظام الغامض للكون وجماله** ذلك العالم الذي تُعد فيه الرياضيات أعلى مراتب الفلسفة، كما أن الفلسفة هي أعلى مراتب الموسيقى، ذلك لأن هذه المواد الثلاث معًا (الرياضيات والفلسفة والموسيقى) تهدف إلى

---

87 A.S.Bogomolov, History of Ancient Philosophy, p 75

88 د. مجدي كيلاني: الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، ص 55

89 برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ص 70

90 J. Burnet: Early Greek Philosophy, p, 107-108

91 جون ماكليش: العدد، من الحضارات القديمة حتى عصر الكومبيوتر، ترجمة: د. خضر الأحمد ود. موفق دعبول، مراجعة: د. عطية عاشور، عالم المعرفة (رقم 251)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1999م، ص 108

92 جون ماكليش: العدد، ص 109

93 جون ماكليش: العدد، ص 117

فهم أفضل لعالم كامل النظام تام التناسب[94]. وهذا الفهم مهمته الأساسية ليست تحصيل المعلومات الرياضية، بل مهمته تطهير النفس؛ التي عليها أن تكتسب التناسب التام مع العالم ومع مصيرها الأبدي.

اختصارًا، كانت ثمة **نظرية لاهوتية للأعداد**، وكان عالِمُ الرياضياتِ عالمًا باللاهوت يتعين عليه اكتشاف النظام المقدس للعالم والإعلان عنه[95]. ولما كانت **الأعداد نماذج مقدسة**، موجودة في عقل الإله منذ البداية، كانت دراسة علم الحساب مدخلاً إلى «تعرف» **الخطة المقدسة**[96]، **الموجودة في عقل الإله** حتى يمكن للنفس أن تتحد به وتحقق خلاصها المنشود، وتكف عن مأساة التناسخ، لترسو على شاطئها الإلهي السعيد.

- **الأعداد: أشكال هندسية**

الأعداد عند فيثاغورس لها **شكل** أو **هيئة** (eidos)، وهذه اللفظة (**إيدوس**) سيطلق عليها أفلاطون **المثال**، وأرسطو **الصورة**، والأصل اللغوي **لإيدوس** من الفعل اليوناني (**idein**) أي **يرى**، **فإيدوس** تدل على **الشكل المرئي بالعين**[97]. لقد فطن فيثاغورس إلى وجود صلة وثيقة بين العدد والشكل الهندسي، **فكانت الأعداد أشكالاً: الواحد نقطة والاثنان خط، وقد كان يرسم الثلاثة مثلثًا والأربعة مربعًا وهكذا**، وذلك **بالحصى** (**psephos**)، أو النقط. وتسمى هذه النقط **الحدود** (**horoi**) للشكل، والمساحة التي تشغلها هذه النقط هي **السطح** (**chara**). هكذا **يُظنُ أن فيثاغورس خَلَطَ بين الحساب والهندسة، وفي الواقع ليس ثمة خلط بين العلمين في عقل فيثاغورس فما كان يهمه التفرقة بين الحساب والهندسة أصلاً**، بل كل ما يهمه هو إدراك «**تلك الخطة المقدسة**» فحسب!

إن هذا يدعونا إلى الكلام عن **الموناس**، أو الواحد الفيثاغوري الذي يُقرن بالإله، ويتصف بصفاته، وهو أول تجلياته كما سيقول **أفلوطين** فيما بعد، وسف نبتعد -من ثم- عن الحساب، بمعناه المألوف، لنبقى في قبضة التصوف الرياضي:

- **الموناس (الواحد): أو الجوهر**

ذهب الفيثاغوريون إلى أن مبدأ الأشياء جميعًا هو **الموناس** الوحدة التي تتجلى، باعتبارها العدد (واحد: **الموناد**)، وأطلق فيثاغورس على الموناد اسم أوسيا، أي الوجود أو الكينونة أو الجوهر، واعتبرها أصل كل

94 هنري توماس: أعلام الفلاسفة كيف نفهمهم، ص 78

95 جون ماكليش: العدد، ص 118

96 جون ماكليش: العدد، ص 119

97 د. أحمد فؤاد الأهواني: فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، ص 83

الموجودات ومصدر الدوام في الكون[98]. وفي ذلك يقول **أيتيوس**[99]: «ثم لاحقًا سيضع -أي فيثاغورس- الموناد والثنائي (الدياد) اللامتناهي ضمن المبادئ. وفي نظره، فإن أول هذين المبدأين هو العلة الفاعلة والصورية؛ أي العقل الإلهي، بينما الثاني هو العلة المنفعلة والمادية، أي **العالم المحسوس**».

والأرجح أن **الموناس** (monas) هو **الإله** (theos) الذي هو **مصدر الواحد**[100]. **وفي ذلك يقول ماكروبيوس (حوالي 400ق.م): «الواحد يسمى موناس: الوحدة، وهي في آن ذكر وأنثى، زوجي ومفرد، وليس عددًا في ذاته، ولكنه مصدر ومنشأ الأعداد. هذه الموناد هي البداية والنهاية لكل الموجودات، وهي لم تعرف حتى ذاتها أنها بداية أو نهاية وتشير إلى الإله الأعلى والأسمى**[101]».

لقد كان **الواحد أيضًا** أول عدد تم خلقه. وكان **يقرن بالإله الخالق** (الأدق الصانع لأن اليونانيين لا يعرفون فكرة الخلق) بطريقة خاصة (مثل آدم في العهد القديم الذي صنع على صورة الإله). وقد كان للواحد بعض الصفات المقدسة كالوحدانية والكمال والقدرة على الخلق (الأدق الصنع) والأولوية. وبعبارة أخرى كان الإله المحرك الأول، وكان العدد «الأول» في الترتيب الطبيعي برأي أفلاطون وفيثاغورس؛ وقد شارك **الدياد** (الثنائي) **الموناس** (الواحد) في هذه الميزات الخاصة، لأنه كان الأول في متسلسلة الأعداد الزوجية[102]:

- **الدياد (الثنائي): عالم الكثرة والتعدد**

والأعداد منها فردية ومنها زوجية، واعتبرت الأعداد الفردية (Individual) أعدادًا مقدسة (Sacred)[103]، **والواحد** هو أصل الأعداد، وبجمعه تتكون الأشكال الأخرى. والفيثاغوريون -كما يذكر **أرسطو**[104]- يضيفون الواحد إلى سلسلة الأعداد الفردية (9، 7، 5، 3، 1) إلخ يتحصل دائما على الشكل بعينه وهو مربع، في حين أنه إذا أضيف إلى الوحدة سلسلة الأعداد الزوجية (8، 6، 4، 2) إلخ يتحصل دائما على شكل مخالف، بل على أشكال تختلف إلى اللانهاية.

---

98 جون ستروميير وبيتر ويستبروك: التناغم الإلهي، ص 70

99 الترجمة العربية لنص أيتيوس، د. الطيب بو عزة، فيثاغور والفيثاغورية ص 250 .Aetius, Opinion, p 1.111, 8

100 د. مجدي كيلاني: المرجع السابق، ص 57

101 جون ستروميير وبيتر ويستبروك: التناغم الإلهي، ص 71

102 جون ماكليش: العدد، ص 119

103 Zeller, Outlines of The History of Greek Philosoph., p.52

104 أرسطو: علم الطبيعة، الجزء الأول، ترجمه من الإغريقية إلى الفرنسية بارتلمي سانتهلير، نقله إلي العربية أحمد لطفي السيد، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2008م ك 3، ب 4، ص ص 161-162

لقد أصبح العدد واحد (**monas**) رمزًا للثبات والدوام في الكون، ومن الواحد يأتي كل شيء طيب في هذا العالم؛ لأن الواحد هو أصل الأعداد الفردية. أما العدد اثنان (Dyad) فهو رمز للنقص في الكون؛ فالعالم لابد له من تناغم الأضداد، فلا يمكن أن نفسره بوجود **الخير** وحده أعني «الواحد»، بل لابد من وجود عنصر **الشر** الذي يقاوم نشاط الخير. ويقال إن فيثاغورس استمد هذه الثنائية الكونية من ثنائية المجوس[105]. وهذا هو تأثره من رحلته إلى بلاد فارس. هذه الثنائية التي قال بها فيثاغورس تقودنا إلى صميم الأديان الشرقية، إذ من المحتمل أن تكون وصلت إلى اليونان في عهود متأخرة. لذا لا نستبعد أن يكون الفيثاغوريون قد نظروا إلى الوجود في ضوء العدد، **حتى يقيموا الأخلاق انسجامًا مع أقسامه**، وكذلك بالنسبة إلى الحركة، والكون[106].

- **التتراكتيس المقدس**

نجد في كتاب **يامبليخوس** المسمى **الإلهيات الحسابية** (Theologumena tes arithmetices)، تأكيدًا لقدسية التتراكتيس. وتمثل **العشرة** (**الديكاد decad**) الكون. استخدم فيثاغورس التورية في تسميته لهذا العدد، إذ سماه **ديكاد** أي **الوعاء** أو **الحاوية** نظرًا لأن العدد عشرة يحتوي على كل شيء في صورته المفردة وباعتباره قوة. واعتقد الفيثاغوريون أن العشرة هي جماع المؤثرات الإلهية الممسكة بعناصر الكون معًا، أو جميع قوانين الطبيعة، ويرون العشرة باعتبارها القدر والكون والسماء، بل والرب والإله، وذلك لأنها هي المنظمة لجميع الموجودات[107].

يقول **أيتيوس** (**Aetius**)[108]: «حسب فيثاغورس، إن قوة عدد **عشرة** توجد في عدد **الرابوع**. وسبب ذلك هو أنه إذا جمعنا الأعداد من واحد حتى أربعة، فإننا نحصل على عشرة». إذا كان جميع اليونان والبرابرة بالمثل كما قد عرفوا العد حتى العدد **عشرة**، **الديكاد** (**Decad**) فإن الفيثاغوريين وحدهم يقولون إن العدد عشرة هو أكمل الأعداد، وأنه يحتوى على طبيعة الأعداد كلها، فهو مثلث العدد أربعة أي **التيتراد** (**Tetrad**) وهو مجموع الأعداد من 4: 1، أي 1+2+3+4=10[109]. من حيث إن العدد أربعة يكمل المتوالية من واحد إلى أربعة، والتي يكون مجموعها عشرة، فإنه يفرز أيضًا **المثلث العشري**، وكانوا يسمون هذا الشكل **تتراكتيس** (**Tetraktes**)، أي **مثلث العدد عشرة**، أعظم الأشكال الهندسية التي تولدت عنها أسماء وروابط كثيرة. إنها رمز النفس البشرية كما إنها النموذج العددي للكون أو الكوسموس. واعتاد

105 د. إمام عبد الفتاح إمام: نساء فلاسفة في العصر القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م، ص 54

106 د. مصطفى غالب: فيثاغورس، ضمن سلسلة نحو موسوعة فلسفية، منشورات دار مكتبة الهلال بيروت، 1987م، ص 36

107 جون ستروميير وبيتر ويستبروك: التناغم الإلهي، ص 75

108 Aetius, Opinion, p 1.111, 8. الترجمة العربية لنص أيتيوس، د. الطيب بو عزة، فيثاغور والفيثاغورية ص232

109 G.S.Kirk & J.E.Raven, The Presocratic Philosophers, p 230

أعضاء الإخوة الفيثاغورية تقديس المثلث العشري، ولذلك شاركوا جميعًا في قسم يقول: «**أقسم به ذلك الذي غرس في عقولنا المثلث العشري المقدس ومصدر الطبيعة دائمة الفيض**[110]» وذلك لأنه يضم الأعداد كلها، وبالتالي طبيعة الكون كله[111]. والكون واحد أبدي إلهي[112]. وعلى ذلك يرمز التتراكتيس إلى كل أبعاد الخلق المرئية والخفية أو الخلق المشاهد والغيبي؛ إنه **صورة للمملكتين: مملكة الخلق ومملكة الخلود**[113]. وعلى ذلك تتألف النظرية الفيثاغورية في جملتها من **تأمل المثلث العشري وعلاقاته الرياضية الباطنية، وتعني النظرية هنا التقنية الذهنية التي يستعين بها أعضاء الإخوة الفيثاغورية لبلوغ المستوى الإلهي**. وكان ذلك سابقة ونبوءة لاستخدام أفلاطون الدراسات الرياضية والجدل (الديالكتيك)[114].

- **المبادئ العشرة: المقولات الفيثاغورية**

وفيما يخص العدد عشرة أيضًا، يذكر **أرسطو**[115] أن هناك مفكرين في المدرسة الفيثاغورية يقولون إن هناك عشرة مبادئ يرتبونها في عمودين ذوي طبيعة متشابهة:

1- المحدود واللامحدود

2- الفردي والزوجي

3- الواحد والكثير

4- اليمين واليسار

5- الذكر والأنثى

6- الثابت والمتحرك

7- المستقيم والمنحني

8- النور والظلمة

9- الخير والشر

10- المربع والمستطيل.

---

110 جون ستروميير وبيتر ويستبروك: التناغم الإلهي، ص 73

111 د. مجدي كيلاني: الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، ص 55

112 W.K.C.Guthrie, The Greek Philosophers from Thales to Aristotle, p 37.

113 جون ستروميير وبيتر ويستبروك: التناغم الإلهي، ص 70

114 جون ستروميير وبيتر ويستبروك: التناغم الإلهي، ص 73

115 أرسطو: الميتافيزيقا، 1، 5، 986 أ، 20-25 ص ص 276-277

وهذا الجدول/ الجمع لأزواج مفاهيمية، يرى **هيجل** أنه رغم اختلاله، «يعبر عن تقدم في تحديد المفاهيم المجردة». وبالفعل نرى فيه -كما يقول **د. الطيب بوعزة**[116]- أقدم محاولة فلسفية لتنظيم بنية مفاهيم اللغة الفلسفية، ويعد إرهاصًا مبكرًا بالبنية النظرية الميتافيزيقية الأفلاطونية، القائمة على الفصل بين عالم الخير والكمال، وبين عالم الحس والنقص. ونلاحظ هنا أن هذه الأزواج يختلط فيها الفيزيقا بالميتافيزيقا، الرياضة بالأخلاق والكسمولوجيا، وهذا الخليط هو جوهر الفيثاغورية وأي فصل بين هذا «**السديم**» يعني تفتيته، ومن ثم عدم فهمه على النحو الذي هو عليه. لكن هنا أيضاً لا بد من التنبيه إلى أن الفيثاغورية لم تعامل الواحد بوصفه عدداً فرديًا، بل هو عندها أصل الأعداد جميعها؛ ومن ثم فهو خارج التصنيف (فردي/زوجي)[117].

نستطيع الآن، أن نفهم **أنَّ العلم الطبيعي لم يكن يعنيهم في شيء إلا لكونه وسيلةً من وسائل التطهير**. ولقد طوروا ما بدأه الاتجاهُ الأيوني تطويراً ظاهرًا، واختطوا لأنفسهم فلسفةً جديدة، استجابةً لروح عصر جديد هو القرن السادس قبل الميلاد.

- **الأعداد الكاملة وغير الكاملة**

إن الأعداد المؤلفة ملائمة لجميع أنواع المعالجات. وبدراسة عوامل هذه الأعداد، فإنه يمكننا إيجاد جميع أنواع العلاقات الكائنة بينها. وكانت هذه العلاقات تعني لفيثاغورس **أنه كانت لدى الخالق خطة محددة يمكن اكتشافها بالإدراك السليم للمتتاليات العددية**. وعلى سبيل المثال، فإن **مساعد الكاهن** قد يحلل عددًا معطى إلى عوامله، ثم يضيف هذه العوامل بعضها إلى البعض الآخر (بعد حذف العدد نفسه، ولكن باعتبار الواحد عاملاً). وكإيضاح نأخذ العدد 6 الذي يساوي 2x3، والعددان 1، 6 هما عاملان أيضًا. فإذا تجاهلنا العامل 6 (لأنه العدد نفسه)، فإننا نلاحظ أن 6 يساوي أيضًا 1+2+3. لذا، فإنه عدد «كامل» **وهذا اجتهاد أخلاقي** لا علاقة له بنظرية الأعداد كما يقول **جون ماكليش**. وثمة حالات نادرة فقط، يكون فيها مجموع العوامل مساوية للعدد الأصلي. وقد أطلق الفيثاغوريون عليها «الأعداد الكاملة» ولا يوجد منها بين الواحد والعدد 10000 إلا الأعداد الأربعة الآتية:

$$3+2+1 = 6$$

$$14+2++47+1 = 28$$

116 د. الطيب بوعزة: فيثاغور والفيثاغورية، ص 240

117 د. الطيب بوعزة: فيثاغور والفيثاغورية، ص 232

248+124+62+31+16+8+4+2+1 = 496

4064+2032+1016+508+254+127+64+32+16+8+4+2+1 = 8128.[118]

كتب **نيقوماخوس** (Nicomachus)، أحد مريدي فيثاغورس، ما يفيد بأن **هناك أشياء مشتركة بين الأعداد والصفات الإنسانية: «الكمال نادر في الأعداد، كما أن الطيبة والجمال نادران بين الناس». «والأعداد غير الكاملة متوفرة بكثرة في الأعداد، شأنها شأن الشر والقبح عند البشر!»** وإذا أردنا الاستعانة بالرياضيات في كلامنا، فإننا نقول إن الأعداد غير الكاملة تُبرز أنواعًا مختلفة من البُنى الشاذة وغير المتوازنة يمكن كشفها من عواملها. وتعريفًا، فإن العدد غير الكامل هو ذاك الذي يكون مجموع عوامله أكبر أو أصغر منه. وكما هي الحال في المواليد المشوهة الخِلْقَة، فإن لمثل هذه الأعداد قدرًا كبيرًا جدّا أو صغيرًا جدّا من الأطراف والأعضاء[119]!

فيا لها من حسابات إلهية حقًا!

- **الأعداد القوية والأعداد الضعيفة**

فإذا كان العدد الأصلي أصغر من مجموع عوامله قيل إنه قوي (مثل العدد 12 الذي عوامله، 1، 2، 3، 4، 6، ومجموعها 16)، وإذا كان أصغر من مجموع عوامله قيل عن العدد إنه ضعيف (مثل العدد 8 الذي مجموع عوامله، وهي 1، 2، 4، يساوي 7). وكما هي الحال في قسم كبير من نظرية الأعداد الفيثاغورية، فإن مثل هذه التقسيمات **لا تؤدي إلا إلى الوعظ الممل وليس أكثر من ذلك**[120].

لكن هذا **الوعظ** الذي يصفه **جون ماكليش** بأنه **مملّ**، نظن أنه لم يكن كذلك بالنسبة إلى مريدي فيثاغورس وتلاميذه المولعين بهذه المواعظ العلمية بالغة الإثارة بالنسبة إليهم؛ ألم نقل **إن فيثاغورس يهدف إلى التطهير لا إلى العدد الحسابي كما نفهمه اليوم؟!**

- **الأعداد المتحابة وغير المتحابة**

كذلك عرف الفيثاغوريون نوعًا آخر من الأعداد هو الأعداد «**المتحابة**» و«**غير المتحابة**». وهنا نقارن مجموع العوامل لعددين مختلفين. فإذا كان مجموع عوامل العدد الأول يساوي العدد الثاني وبالعكس قلنا إن

118 جون ماكليش: العدد، ص 121

119 جون ماكليش: العدد: ص ص 121-122

120 جون ماكليش: العدد، ص 122

العددين متحابان؛ إن لهذين العددين نسبًا واحدًا، **(كما يمكن التوقع، في عالمهما المثالي على الأقل!)**؛ إنهما أكثر تجانسًا رُوحيًا من غيرهما من الأعداد. وقد قدم فيثاغورس أحد هذه الأزواج وهو:

220: 1+2+4+5+10+11+20+22+44+55+110=284

284: 1+2+4+71+142=220.

هناك أزواج أخرى مثل: 296، 17 و416، 18، وكذلك 1184 و1210. ويعرف حتى الآن أكثر من 1000 زوج من الأعداد المتحابة[121].

فيا لها من خطة مقدسة وحكيمة تدير الرأس!

- **الأعداد الأنيسة (Sociable) والجماهير**

يمكننا أيضًا، تعرف سلاسل من الأعداد «**الأنيسة**» (Sociable)، وهنا يجري الحديث عن ثلاثة أعداد أو أكثر يمكننا أن نسميها «**جماهير**» (Clouds) يتساوى مجموع عوامل كل منها، ولكن لم يجر تعرف أي منها حتى الآن![122].

وهذا **علم اجتماع رياضي** فيثاغوري جديد!

إن التقسيم الفيثاغوري للأعداد ليس مجرد عمل رياضي فحسب، وإنما أيضًا تعبير عن صفات أخلاقية واجتماعية ونفسية قائمة على الأعداد، ومتضمنة في أبعاد ودلالات الفلسفة الرياضية، وهنا نتنبه إلى **أهمية الوجود الإنساني** في منظومة فيثاغورس الفلسفية هذه[123].

- **الأعداد رموز غرائبية**

مُثلتْ الأعدادُ أيضًا **في رمزية بدائية للغاية**، تمثل الأعداد بموجبها ماهية الأشياء، فالعدد (7) يمثل **(الفرصة)**، والعدد (4) **(العدل)**، والعدد (3) **(الزواج)**، وذلك طبقًا **لتشابهات تعسفية تمامًا**.

إذا تركنا جانبًا هذا المظهر الأخير، الذي منه سيولد **علم الحساب الغرائبي** الذي سيتلهى به بنو الإنسان على امتداد قرون وأجيال، تبين لنا كيف انقاد فيثاغورس إلى أن يسلط الضوء ويدرس من جهة أولى بعض

121 جون ماكليش: العدد، ص 122

122 جون ماكليش: العدد، ص 122

123 محمد الخطيب: الفكر الإغريقي، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 1999م، ص 102

السلاسل العددية، ومن الجهة الثانية بعض النسب العددية المتميزة. ولئن درسها في أول الأمر لا لذاتها، وإنما للأشياء التي تمثلها (عازيًا على سبيل المثال قيمة خاصة إلى العدد 10، كما سبق أن قلنا، أي مجموعة الأعداد الأربعة الأولى، وبه كان يقسم أعضاء النحلة)، فقد وجد نفسه منقادًا مع ذلك إلى أن يتعرف ضروبًا جديدة شتى من الخاصيات الحسابية. ومن جهة أخرى، قاده اكتشاف النظرية الرياضية التي تعرف باسم نظرية فيثاغورس، إلى أن يفترض أن بين بعض الخطوط، مثل ضلع المربع ووتره، علاقة لا يمكن التعبير عنها عدديًا؛ وبذلك يكون العلم الفيثاغوري قد اصطدم من البداية بحدوده[124].

إن **محاولة التفسير العقلي لأقوال فيثاغورس محاولة غير عقلية أصلاً**؛ فكل ما عندهم رموز ولا علاقة لهم بالحساب أو الهندسة، وإلا سوف نُتهم بالوهم والشطط لو أننا اعتقدنا -مثل الفيثاغوريين- أن النفس عدد؛ فما علاقة الحساب والعدد بالنفس الإنسانية؟!

- **النفس عدد**

لقد ربط الفيثاغوريون بين المشكلات العددية والمشكلات الفلسفية ربطًا أساسيًا (وأحيانًا مصطنعًا على حد تعبير **فندلباند**[125]) وأحلّوا العدد محلّ كل شيء بما في ذلك النفس البشرية؛ **فالنفس هي الأخرى عدد**. وعند هذه النقطة انطلقتْ صوفيةُ فيثاغورس، التي استقاها من مصر وبلاد الشرق الأدنى، حرةً لا تلوي على شيء. فقد قال إن النفس تنقسم أقسامًا ثلاثة: الشعور واللقانة (الذكاء) والعقل؛ فالشعور مركزه القلب، واللقانة والعقل مركزهما المخ؛ وإن الشعور واللقانة من صفات الحيوان والإنسان على السواء. أما العقل، فيختص به الإنسان وحده، وهو خالد لا يفنى. وتمر النفس بعد الموت بفترة من التطهر في **الجحيم**، أو الهاديس (Hades)، وتعود بعدها إلى الأرض وتدخل في جسم جديد، ثم في جسم آخر، وتمر في سلسلة من التناسخ لا تنتهي إلا إذا كان صاحبها قد حيا حياة فاضلة منزهة عن الرذائل أجمعها[126].

إننا نعود على بدء! من النفس وإليها، من العدد إلى النفس. إنها قضية فيثاغورس الأساسية وعليه أن يقنع بها مريديه، حتى لو كان يشرح لهم الأعداد أو الرياضيات، نفس الأمر سنجده في العلوم التي لها صلة وثيقة بالرياضيات مثل الموسيقى والفلك، بل والطب كما سوف نرى.

---

124 إميل برهييه: تاريخ الفلسفة، ص 71

125 Wilhelm Windelband: History of Ancient Philosophy, p.45

126 ول ديورانت: قصة الحضارة، حياة اليونان، ص 299

لقد كانت إحدى أهم القواعد المرعية في المدرسة الفيثاغورية هي **قاعدة السرية**، ويُعاقب بالطردِ كلُ من لا يحترم هذه القاعدة[127]. وترى **كاثلين فريمان**[128] أنه **لا فرق بين المذهب الديني والمذهب العلمي لفيثاغورس** فيما يتعلق باحترام قاعدة السرية، فمن يخون **العقيدة الرياضية**، يناله نفس المصير الذي ينال من يخون **العقيدة الدينية**؛ فهذه القاعدة يجب مراعاتها في الجانبين معًا، إذ كلاهما يستوجب **الصمت**[129]. وعلى أي حال، فنحن لا نرى لفيثاغورس مذهبين بل مذهبًا واحدًا، هو ما نسميه بالتصوف الرياضي.

لقد كانت مثل هذه الحسابات الغرائبية -عند فيثاغورس وأتباعه- إلهيةً، وأسرارًا مقدسة وإلا فلماذا أعدموا واحدًا منهم غرقًا لإفشائه سرًا هندسيًا؟ ولماذا طردوا **هيباسوس**، وهو أول من دوَّن كتابًا بعنوان «**المذهب السري**» في حياة فيثاغورس، وأودع الكتاب بعض المعلومات الرياضية الدينية (وهل يوجد فارق بين الوصف بالدينية وبين الوصف بالرياضية للمعلومات الواردة بالكتاب؟!) التي لا يجوز إباحتها، وعوقب من أجل ذلك بالطرد جزاءَ ما قدمت يداه[130]؟! وقد ظلت هذه السرية -وهو أمر يبعث على الدهشة كما يقول **يامبليخوس**[131]- لأجيالٍ عديدة، قبل أن يأتي **فيلولاوس** (Philolaus) الفيثاغوري ليخرق هذه السرية بنشره ثلاثة كتب مشهورة كان أفلاطون قد طلب من **ديون** (Dion) حاكم **سيراقوسة** أن يشتريها له مقابل مائة **ميناي** (Menae) والقصة بتمامها يرويها أيضًا ديوجنيس الائرتي[132].

هل بقي شك في أن ما نذهب إليه من أن الرياضيات -كما نفهمها اليوم- لم تكن مقصودةً لذاتها عند فيثاغورس قط؟! هل -بعد أن تعرفنا على هذه النظرية العددية الفيثاغورية- يمكن أن نقول: إن فيثاغورس هو مؤسس علم الرياضيات، أم الأدق هو أن نقول: إن فيثاغورس هو مبتدع التصوف الرياضي، والرياضيات الإلهية المُخَلِصَة للنفس في طريق اتحادها وخلودها الأبدي؟

الأعداد لم تعد من عالمنا إذن ودراستها غير مقصودة إلا من حيث إنها تعد النفس لتصور اللامتناهي، ومن ثم لتصور الواحد الإلهي الذي ينبغي الاتحاد به لتحقيق خلاص النفس، هدف فيثاغورس الأسمى والخير الأقصى الذي يجب أن يسعى إليه الفيثاغوري بكل كيانه، وبكل ما أوتي من معارف وقوة نفسية؛ ففيثاغورس باعتباره دينيًا ونبيًا من جهة، وباعتباره عالمًا في الرياضة البحتة من جهة أخرى؛ فهو قوي

127 K. Freeman: The Pre-Socratic philosophers, p.73

128 برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ص 67

129 K. Freeman: The Pre-Socratic philosophers, p.75-76

130 د. محمد عبد الرحمن مرحبا: تاريخ الفلسفة اليونانية من بدايتها حتى المرحلة الهلّنسْيِّة، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1993م، ص 65

131 Iamblichus, Vita Pythagorae, 267, in G.S.Kirk & J.E.Raven, The Presocratic Philosophers, p 221

132 ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، فقرة 15، 2014م، ص 21

الأثر إلى حدّ بعيد جدًا في كلا الجانبين، ولم يكن الجانبان منفصلين بمقدار ما يبدو من انفصالهما للعقل الحديث[133].

بل ويتناغم مع العلاقات الوثيقة بين الجماعة الفيثاغورية فيما بينها، وفي ترابطها بالوجود. وفي ذلك تقول **ثيانو الكريتونية** (Theano of Crotona)، زوجة فيثاغورس: «يمكننا تمييز كل ما هو موجود وكل ما هو حقيقي عن غيره من الأشياء الأخرى من خلال العدد، كما **أن الجوهر الأبدي للعدد متصل اتصالاً مباشراً بالوجود المتناغم المتآزر لجميع الأشياء المتنوعة الأخرى**، ومن الممكن التعبير عن هذا التناغم بأنه ترابط رياضي، ويكون العدد بهاتين الطريقتين **العلة التي تقف وراء الأشياء جميعًا**، وبدونه لا يمكننا أن نحصي، ولا أن نفرق بين الأشياء كما **أنه يعبر عن علاقات الترابط الوثيقة بين الأفراد**»[134]. **فالعالم عدد والعدد هارموني وعلاقات ترابط وثيقة بين جماعة الفيثاغوريين** كما تقول زوجة فيثاغورث شارحة آراءه في «**الخطة المقدسة**». لذلك بنوا الموسيقى، والفلك، والطب على فكرة العدد أيضًا:

2- الأعداد والموسيقى الفيثاغورية

- **العالم نغم (harmonia)**

ربط فيثاغورس بعبقريته النسقية بين العدد والنغم والعالم؛ بين الرياضيات والموسيقى والفلك؛ وفي ذلك يقول **أرسطو**[135] **ملخصًا هذه النسقية الفيثاغورية**، في كتابه **الميتافيزيقا**: «**لقد كان الفيثاغوريون قد كرسوا أنفسهم للرياضيات**، كما كانوا أول من دفع بهذه الدراسة إلى الأمام، ولما كانوا قد تقدموا بها فقد اعتقدوا **أن مبادئها هي مبادئ الأشياء جميعًا**، ... **وما داموا قد وجدوا من ناحية أخرى أن خصائص ونسب السُلَم الموسيقي يمكن التعبير عنها بالأعداد، فقد بدت الأعداد على أنها أول الأشياء** جميعًا، **والسماء ككل هي سُلَم موسيقي وعدد. وجميع خواص الأعداد والسلم التي استطاعوا أن يبنوا اتفاقها مع صفات وأجزاء ونظام السماوات كلها، جمعوها وجعلوها تناسب خطتهم**». ولقد اعتادَ فيثاغورس -منذ أن اكتشف، **بأذنيه وعقله**، وهو في محل الحدادة الهارمونيا الصادرة عن مطارق الحدادين، ليؤسس علم الأنغام الموسيقية القابلة للقياس العددي- أن يعلم تلاميذه أنه من الضروري ألا نتعامل مع الموسيقى وكأنها مجرد شكل من أشكال التسلية. لقد أكد أن الموسيقى تعبير عن التناغم (الهارمونيا) المبدأ الإلهي الذي يضفي النظام على الفوضي والتنافر. وهكذا تكون للموسيقى قيمة مزدوجة: إنها مثل الرياضيات، إذ يتمكن الرجال والنساء أن

133 برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ص 69

134 ماري إيلين ويث: المرجع السابق، ص 50

135 أرسطو: الميتافيزيقا، 1, 5، 985 ب، 986 أ، ص ص 267-268

ينفذوا بفضلها إلى أعماق **هياكل الطبيعة**، علاوة على هذا فإنها تحقق التناغم بين ملكات الروح وبين هذه الهياكل، وتطهر العقل والجسد وبذلك تستعيد وتصون الصحة في كمالها[136].

إن حجر الزاوية في الفلسفة الفيثاغورية هو الاعتقاد بأن الأعداد هي مبادئ الأشياء، ومما لاشك فيه أن الفيثاغوريين قد توصلوا إلى هذا المبدأ نتيجة لدراساتهم الموسيقية، حيث أدركوا أن تنوع الألحان الموسيقية، إنما يتوقف على أطوال الأوتار في الآلات الموسيقية، وقد استنتجوا من ذلك أن الانسجام، أو الهارموني الموسيقي، إنما تحدده نسب عددية معينة[137]. إن هذا الهارموني أو الصوت عمومًا يُعد -كما يقول **جومبرتز**[138]- أحد أهم **الظواهر المتغيرة** (Volatile of Phenomena)، ومع ذلك سينظر إليه فيثاغورس باعتباره **مقياسًا** (Measure) للكون كله، ومن ثم هو جوهر الأشياء كلها. أو ما أصطلح عليه بأن الأعداد هي مبادئ (archai) الأشياء[139].

إن القول بأن العالم عدد (arithmos) ونغم، **هارمونيا** (harmonia) يرينا كيف ارتقى فيثاغورس بالتصور الفلسفي القديم الذي كان سائداً أناكسيماندروس الذي اعتبر أن اللامتناهي أو **الأبيرون** (to apeiron) هو مصدر الأشياء جميعًا، حيث إنه خالد ولا يفنى. **وأناكسيمينيس** الذي اعتبر أن الهواء هو المبدأ الأول في الكون، علمًا بأنه يدرك أن اللامتناهي متحقق حتميًا في هذا العنصر. أما فيثاغورس، فإنه ينتقل من هذه المبادئ الأولى للوجود إلى تصور أكثر ارتقاءً وتساميًا؛ فالعالم مؤلف من أعداد وخاضع لمبدأ التناغم الذي يسود الكون بأسره، فالتناغم يسود حركة الأفلاك والكواكب وكافة المخلوقات من بشر وحيوان وأسماك وطير ونبات مما يعكس ما يمكن أن نطلق عليه **التناغم الطبيعي**[140].

والسؤال الآن ماذا يريد فيثاغورس من إثباته أن العالم نغم؟ وهل هذا **التناغم الطبيعي** شيء آخر غير **التناغم الرياضي الصوفي؟!**

- **الهارمونيا هى الحكمة**

كان الفيثاغوريون يستخدمون الموسيقى كما كان يستخدمها كهنةُ اليونان وأطباؤهم لشفاء الاضطرابات العصبية، وكانوا يعتقدون أن أكثر ما تحصل به النفس على **التآلف هو الحكمة**، وهي فهم الحقائق التي يقوم عليها هذا التآلف فهمًا هادئًا؛ وذلك لأن هذه **الحكمة تعلم الإنسان التواضع والاعتدال، والطريقة الوسطى**

136 جون ستروميير وبيتر ويستبروك: التناغم الإلهي، ص 77

137 Zeller, Outlines of The History of Greek Philosophy, p.51

138 Theodor Gomperz, The Greek Thinkers, p 103

139 Wilhelm Windelband: History of Ancient Philosophy, p.47

140 د. مجدي كيلاني: الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، ص 56

الذهبية. أما الطريقة المضادة لهذه -أي طريقة التنازع والتطرف، والخطيئة- فتؤدي حتمًا إلى المآسي والعقاب، **والعدالة** «**عدد مربع**»، وكل خطأ -كما يقول ول ديورانت[141]- «**سيربع**» إن عاجلاً أو آجلاً بالعقوبة المكافئة له.

يحدثنا **فرفريوس**[142] أن فيثاغورس كان يوصي أتباعه إذا ما أراد أحدهم أن يحقق الهدوء لمشاعره النفسية أو أن يُهدئ من انفعالات جسده، فلن يتم ذلك إلا عن طريق الأغاني والإيقاعات الموسيقية وتلاوة التعاويذ (Incantations). **إن فيثاغورس يريد أن يثبت أن في كل شيء نسبة عددية ثابتة، هارمونيا. ولكن لا نرى أن فيثاغورس قد اكتفى بهذا القدر من دراسة علم الموسيقى، إلا خدمة للأخلاق، وإلا لكي يضرب المثل الحي على تناغم النفس الإنسانية وأن النفس -المركبة من أضداد- يمكن أحداث التناغم فيها مثلما يحدث التناغم الموسيقي.** ولقد أثرت نظرية فيثاغورس على أفلاطون، حيث لعبت الموسيقى دورًا مهمّا في فلسفته[143]. فهذا الهارموني هو الحكمة التي بها تتخلص النفس من عجلة الميلاد الجهنمية، لكن ذلك يتطلب إثبات الهارموني في الكون كله؛ لذا كان عليه أن ينتقل إلى إثبات التناغم في الكون كله، فينتقل من «**أنغام الأوتار**» إلى «**أنغام الأفلاك**»؛ أي تحقق الهارمونيا في الكوسموس، ووسيلته في ذلك كانت تطبيق الأعداد على الدراسة الفلكية:

3- الأعداد والفلك الفيثاغوري

- **النظام الكوني: الكوسموس المتناغم**

الأعداد هارمونيا، والهارمونيا هي حكمة النفس، وهي كذلك نظام الكوسموس. كان فيثاغورس- بحسب رواية **أيتيوس**[144] **هو «أول من أطلق لفظ الكوسموس، على مجموع الكون، وذلك بسبب النظام البادي فيه». وتؤكد رواية ديوجينيس اللائرتي** هذه الأولية لفيثاغورس بعده «أول من أطلق على السماء (ουρανος=ouranos) اسم **كوسموس (κοσμος=kosmos)، العالم أو الكون**»[145]. وهذه كلمة تشير جذورها اليونانية إلى كل من **الناموس** أي **النظام الخاضع لقوانين**، كما تشير إلى **الزينة**، حيث اعتقد فيثاغورس **أن تدقيق النظر في السماوات يكشف عن جمال رائع متمثل في تنظيم مواقع النجوم ونظامها الأصيل في دورانها وحركتها المدارية، ويرى أن السماوات تجسد الأعداد في نقائها المحض، والأرقام**

141 ول ديورانت: قصة الحضارة، حياة اليونان، ص 300

142 Porphyry, The Life of Pythagoras, 30

143 د. هدى الخولي: الفلسفة اليونانية من القرن السادس إلى الرابع قبل الميلاد (من طاليس إلى أفلاطون)، ، بدون دار نشر، أثينا، الطبعة الرابعة، 2015م، ص 86

144 الترجمة العربية لنص أيتيوس، د. الطيب بو عزة، فيثاغور والفيثاغورية ص 261 .1 .Aetius, XX1, Opinion, p 11.1

145 ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، فقرة 48، ص 50

في كمالها الخالص والحركات والعلاقات النقية الموجودة بين جواهر الأشياء، والتي لا يتسنى إدراكها إلا بالعقل والفكر. إن الخلود والأبدية أو عدم التغير هي الجوهر ونبع الحكمة، واعتاد فيثاغورس في الحقيقة، أن يعلم تلاميذه التماس المعرفة والخبرة بهذه الأشكال، لأن ذلك هو هدف الفلسفة[146].

- **الموناد: مبدأ العالم والدياد؛ أصل الكوسموس**

ينشأ عن المونـاس ثنائية غير محدودة، فكان الفيثاغوريون يضعون الواحد فوق الأعداد والموجودات ويجعلونه مصدرها جميعًا. فكما يروي **الإسكندر العلاَّمة**، في كتابه المسمى «**تعاقب الفلاسفة**»، بأنه عثر في **مذكرات** «**hypemnemata**» فيثاغورس على المعتقدات الآتية: «المبدأ الذي ينادي بأن الموناد (الواحد) هو **أساس جميع الموجودات:**

وينشأ عن هذا الموناد ثنائي غير محدد:

من شأنه أن يكوّن (أي الثنائي غير المحدود) مادةً تتشكل أساسًا لهذا الموناد، وتكون سببًا له. ومن الموناد ومن الثنائي غير المحدد تنشأ الأعداد، ومن الأعداد تنشأ **النقط**، ومن النقط تنشأ **الخطوط**، ومن الخطوط تنشأ **السطوح**، ومن السطوح تنشأ **الأحجام**، ومن الأحجام تنشأ جميع **الأجسام الحسية**، ومن الأجسام الحسية تنشأ العناصر التي هي أربعة: النار الماء والتراب والهواء، وتتغير هذه وتتحول فيما بينها بطريقة كاملة لتخلق عالم الأحياء **الذي يتصف بالذكاء** وبأنه **كروي الشكل**، حيث تكون الأرض في وسطه؛ والأرض نفسها كروية الشكل، وهي مأهولة بالسكان المنتشرين فوق سطحها»[147].

يرى بعض الباحثين أن ما دفع الفيثاغوريين إلى هذا الرأي العجيب **خلطهم بين العدد والمعدود، وبين العدد ووحدة الهندسة**؛ فنحن اليوم نفرق بين العدد «**1**» وبين الكتاب الواحد مثلًا، فجعلوا العدد أصلاً للمعدود. وكذلك نحن نفرق بين **الواحد الحسابي** الذي هو وحدة العدد **والنقطة** التي هي وحدة الهندسة؛ فالمائة من الكتب مثلاً مكونة من آحاد لكل واحد منها وجود حقيقي، وأما الخط المستقيم، فمكون من نقط، وليس للنقطة وجود حقيقي، بل هي مفروضة فقط، ولكن الفيثاغوريين **ظنوا أولاً أن الواحد والنقطة شيء واحد**، ثم رتبوا على ذلك الظن كل النتائج الغريبة. فبناء على هذا، يتألف الخط المستقيم من نقط معلوم عددها، كما أن العدد يتألف من آحاد معروف عديدها. ولما كان السطح عبارة عن خطوط مستقيمة متجاورة،

146 جون ستروميير وبيتر ويستبروك: التناغم الإلهي، ص 84

147 ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، فقرة 25، ص ص 29-28

والحجم عبارة عن سطوح متلاصقة، فإن كل كتلة مادية ذات حجم هي إذن عبارة عن مجموعة من النقط يمكن حسابها. وبعبارة أخرى، هي مجموعة من الآحاد؛ أي أنها مركبة من الأعداد[148].

كان يمكن لهذا النقد الموجه إلى فيثاغورس ومدرسته أن يُعد صحيحًا، لو كان فيثاغورس يعتبر أن الأعداد من عالمنا هذا، ولكن الأعداد -عند فيثاغورس- ليست بالفعل من عالمنا، ولقد أدرك مؤرخ الفرق الإسلامية العلاَّمة **الشهرستاني** (479-548 هـ) هذه الحقيقة حين وصف الواحد الفيثاغوري وصفًا دقيقًا فقال عنه: «**المقابل للواحد هو العنصر الأول كما قال أناكسيمينيس** (= الهواء اللامحدود)، **ويسميه الهيولى الأولى**، وذلك هو **الواحد المستفاد، لا الواحد الذي هو كالآحاد، وهو واحد، كلٌّ تصدر عنه كلُ كثرة، وتستفيد الكثرةُ منه الوحدةَ التي تلازم الموجودات ولا تفارقها البتة**»[149].

- **العناصر أعداد**

ننتقل من هذا إلى تطبيق نظرية الأعداد على العناصر. وهنا يقول الفيثاغوريون إن العناصر لابد قطعًا أن تكون مناظرة للأشكال المنتظمة. وأول الأشكال المنتظمة: **المكعب**، وهو يقابل «**التراب**»، ثم **الشكل الهرمي**، وهو يقابل «**النار**»، **والمثمن** يقابل «**الهواء**»، **وذو العشرين** وجهًا المنتظم يقابل «**الماء**»، أما **العنصر الخامس**، فيحوي جميع هذه العناصر الأربعة، أي **الكون** نفسه، وهو أكمل الأشياء المنتظمة، وهو ذو الاثني عشر وجهًا المنتظم. ومن الواضح أن هذه التحديدات **ليس لها صلة بالواقع** على حد تعبير **جون ماكليش**[150]، وإنما -كما نقول- لها صلة كل الصلة بالطريقة الجديدة للحياة التي يريدها فيثاغورس وأتباعه. وإلا -كما يتساءل **برتراند رسل**[151]- **ما شأن هذا كله بالرياضة؟** إن الرابطة بينه وبين الرياضة هي رابطة خُلقية، لأنه كان بهذا يعلي من شأن الحياة التأملية.

- **الديكاد (العشرة): النموذج العددي للكون**

- السماء والنار المركزية

امتاز الفيثاغوريون في علم الفلك، وصدروا فيه أيضًا عن اعتباراتهم الرياضية، فمضوا يصورون العالم كما شاءت لهم صوفيتهم، غير حافلين بالواقع، كأنما كانت مهمتهم تكوين العالم لا تمثيله وتفسيره. فذهبوا إلى أن مركز العالم يجب أن يكون مضيئًا بذاته (لنتذكر **فانيس** (= **الأول المضيء**) **الأورفي**!)، لأن

148 د. محمد عبد الرحمن مرحبا: تاريخ الفلسفة اليونانية من بدايتها حتى المرحلة الهلَنسْيِّة، ص ص 70-69

149 الشهرستاني: الملل والنحل، الجزء الثاني، دار صعب، بيروت، 1986م، ص 77

150 جون ماكليش: العدد، ص 123

151 برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ص 67

الضوء خير من الظلمة، ويجب أن يكون ساكنًا، لأن السكون خير من الحركة: فليست الأرض مركز العالم، وهي مظلمة وفيها نقائص كثيرة؛ ولكنه «**نار مركزية**» غير منظورة لأنها واقعة هي أيضًا إلى أسفل أرضنا، والمأهول من الأرض في اعتقادهم نصفها الأعلى. ولم يفتهم أن يعينوا لكل من النار المركزية والأرض الأخرى (الأرض المقابلة لأرضنا) شأنًا في نظام العالم: النار المركزية تمد الشمس بحرارتها، فتعكس الشمس الحرارة على الأرضين وعلى القمر. والأرض الأخرى تفسر الكسوف والخسوف بتوسطها بين النار المركزية وبين القمر، أو الشمس. وبديهي أن الخيال والعاطفة الدينية كانا يجدان غذاءً في التصورات التي يوحيان بها، فالفيثاغوريون إذا اخترعوا النار المركزية ووضعوها في وسط العالم، مجدوها وأسموها «**أم الآلهة**»، و«**قلعة زيوس**»، و«**الهيكل**»، و«**موقد العالم**»، والمصدر الأول لكل حياة وكل حركة[152].

- الأجرام السماوية والأنتيختون (Antichthon=αντιχθον)

حول هذه **النار المركزية** تدور الأجرام السماوية العشرة وأعلاها **سماء الثوابت** تدور من الشرق إلى الغرب، ومن تحتها **الكوسموس** تدور فيه **السيارات الخمس والشمس والقمر** ثم **الأورانوس**، وهو السماء التي تحت فلك القمر، وهي تحيط بالأرض، ثم **الأرض** يليها جرم لا نراه، لأنه يواجه الجزء الذي لا نعيش عليه وقد سموه **الأرض المقابلة** «**الأنتيختون**»، (**Antichthon=αντιχθον**) وبهذا تتم الأجرام **العشرة** التي تدور حول **النار المركزية**[153]؛ لأنه إذا كانت هناك -كما يقول أرسطو[154]- هوة في أي مكان، فالفيثاغوريون على استعداد لعمل أية إضافات ليجعلوا نظريتهم كلها مترابطة. (يقصد أرسطو **أن كل شيء لا بد أن يكون وفقًا ل ومتوافقاً مع التتراكتيس والديكاد المقدسة**)؛ فلما كانت الأجسام المرئية (المجموعة الشمسية وقتئذ) ليست إلا تسعة أجسام فقط، فلكي يعالجوا هذا الوضع فقد ابتكروا جسمًا عاشرًا هو **الأرض-المقابلة**. إذن -على حد تعبير **جورج سارتون**- كانت فكرة **كُروية الأرض ثمرة الإيمان أكثر منها نتيجة الاستدلال العلمي**. **ألم يبدأ كل فرض علمي على هذا النحو؟**[155]، ولا أملك إلا أن أجيب مؤرخ العلم العبقري جورج سارتون إلا إجابة واحدة: بلى!

ومهما يكن من قيمة استدلال الفيثاغوريين، **فإن تنحيتهم الأرض من مركز العالم كان ثورةً على التصور القديم**. (سوف يستثمر **كوبرنيكوس، وجاليليو، وكبلر** هذه الثورة بعد قرون طويلة) وثمة ثورة أخرى هي

152 يوسف كرم: تاريخ لفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ.، ص 25

153 د. أميرة حلمي مطر: الفلسفة عند اليونان، الجزء الأول، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1986م، ص 80

154 أرسطو: الميتافيزيقا، 1, 5، 986 أ، 1-20، ص 268

155 جورج سارتون: : تاريخ العلم، الجزء الأول، ص 433

قولهم **بكُروية الأرض، ولم يبلغ إلينا سبب هذا القول**، وقد يكون أن الدائرة خير الأشكال لكمال انتظام جميع أجزائها بالنسبة إلى المركز، على ما هو معروف عنهم.

لقد كانت الإشارة إلى **الأساس العشري (التتراكتيس) للعد باطنة**، ومن الملاحظ -كما يقول **سارتون**[156]- أننا لا نجد فيثاغوريًا خطر بباله أن يجعله ظاهرًا. وإذا كان **التتراكتيس** يضم طبيعةَ الكون كله، ورمز للعلاقات الثابتة التي تربط بين الأجزاء المختلفة للكون، فهو أيضاً -كما يصفه **كورنفورد**[157]- **نافورة حياة دائمة التدفق!**

إن دراسة السماوات عند فيثاغورس -شأنها شأن الرياضيات والموسيقى- قدمت لتلاميذ فيثاغورس دراسةً كونيةً شاملة عن التناغم والتناسب، والتي يمكن للمرء أن يستخلص منها قواعدَ الحياة وأنماطَ الأقدار[158]. وهذا بالضبط ضمن ما تعلمنا إياه دراسةُ موسيقى الأفلاك السماوية عند فيثاغورس:

- **موسيقى الأفلاك السماوية**

مع أن فيثاغورس قد اختلف عن المدرسة الأيونية في بعض النظريات الفلكية، إلا أنه أخذ بكثير من آرائهم، فذهب مثل **اناكسيمينيس** إلى أن **العالم يتنفس الهواء** الموجود خارج العالم. وأخذ عن **أناكسيماندروس** فكرة **الأفلاك الثلاثة الشبيهة بالحلقات**، فلك الشمس والقمر والنجوم، ولكنه أضاف إليها، أو طبق عليها التناسب الرياضي الموسيقي 4: 3: 2 فالبعد بين الأفلاك يقوم على فواصل متناسبة موسيقية، وتخرج من الكواكب أنغامٌ مختلفةٌ بينها ائتلاف (**هارمونيا**). فإذا كانت كلُ الأجسام التي تتحرك في الفضاء تخرج أصواتًا، تتوقف درجة ارتفاعها على حجم الجسم وسرعة حركته، فإن كل كوكب في فلكه حول الأرض -كما يقول فيثاغورس- يحدث صوتًا يتناسب مع سرعة انتقاله، وهذا الصوت يعلو أيضًا كلما بعد الكوكب عن الأرض؛ ويتكون من هذه النغمات المختلفة ائتلاف في الأصوات أو «**موسيقى الأفلاك**»، وهي موسيقى لا نسمعها قط لأننا نسمعها على الدوام[159]. نسمعها -كما يعلل أرسطو- بمجرد مولدنا الأمر الذي يجعلنا غير قادرين على تمييزها[160]. وفي ذلك، يقول **هيبوليتوس**[161*] «ذهب فيثاغورس إلى أن **العالم يغني!** وأنه مركب تركيبًا متناسقًا، وهو **أول من رد حركات الأجسام السماوية السبعة إلى الوزن واللحن**، وإذا كان

156 جورج سارتون: : تاريخ العلم، الجزء الأول، هامش رقم 15 ص 444

157 F.M.Cornford, From Religion To Philosophy, p.207

158 جون ستروميير وبيتر ويستبروك: التناغم الإلهي، ص 89

159 ول ديورانت: قصة الحضارة، حياة اليونان، ص 298

160 Aristotle, De Cealo, 11, 9, 290 b12

161*- قس مسيحي عاش في روما، النصف الأول من القرن الثالث

العالم «**يغني**»، فهو «**يعزف**» أيضًا «**ألحانًا سماوية**» لأنه مركب من التناسب[162]. ليس هذا فحسب فإذا كانت السماء عدد ونغم، كما روى **أرسطو** عن الفيثاغوريين، وإذا كان النغم ناتج عن حركة الأفلاك فلابد أن تكون هذه الحركة السماوية **رقصةً كسمولوجية عبر المسار الدائري من حول النار المركزية**[163]**! ولعل ألكاميون** -المنظر الطبي للمدرسة الفيثاغورية وتلميذ فيثاغورس- كان أول من أدخل نظرية نفسية اهتم بها الفيثاغوريون المتأخرون اهتمامًا متزايدًا، وهي **أن الأنفس تشبه الأجرام السماوية وتتحرك حركة أزلية في دوائر، فهناك تعادل بين الدوران والخلود**[164]. وربما مثل ذلك الأصلَ الذي أتى منه **الرقص الصوفي الدائري**، عند مولانا **جلال الدين الرومي** صاحب كتاب **المثنوي**.

لقد استطاع فيثاغورس نفسه -كما يروي فرفريوس[165]**- أن يسمع هارمونيا الكون، وأن يفهم الموسيقى الكونية التي تعزفها العوالم، والتي تتجاوب معها النجومُ طربًا وانسجامًا، ونحن -البشر العاديين- لا نستطيع أن نسمع ذلك بسبب القيود المفروضة على طبيعتنا الضعيفة؛ وعلى الحكيم الفيثاغوري أن يدرب أذنيه لسماع عزف العالم وغنائه الشجي!**

لقد اكتشف فيثاغورس بقواه الاستثنائية **علاقة الأعداد بالموسيقى**؛ فكل النسب الموسيقية مشتقة من الأعداد واحد، اثنين، ثلاثة، أربع - الأعداد الأربع التي تشكل معًا **المثلث العشري**: التتراكتيس: **نموذج الكون**، واستخلص فيثاغورس من كل ذلك أنه من خلال استخدام العلاقات العددية يمكنه أن يصف بدقة تناغم الأفلاك في ضوء عالم الظواهر الفيزيائية[166].

ولما كان فيثاغورس يعد عالم السماء أكمل من عالم الأرض، نظرًا لأن حركة الأول **دائرية**، وحركة الأشياء الموجودة في عالم **ما تحت فلك القمر** (**ta hypo selenen=τα υπο σελενεν**) **مستقيمة**، فهناك إذن عالمان مختلفان أحدهما أسمى من الثاني؛ والثاني عرضة للتغيرات لا نهاية لها، من الانحلال والفساد، والموت، وتجري الحركات فيه على هواها بغير انتظام. **وعالم ما فوق الفلك**: **موطن الآلهة المخلدين، والأرواح الخالدة**، تلك الأرواح التي ينبغي أن تلحق بها أرواح ونفوس الجماعة الفيثاغورية بعد تطهرها النظري، وقد استمرت هذه القسمة للعالم فيما بعد، فأخذ بها **أرسطو** في طبيعياته، وكذلك فلاسفة المسلمين وعلماؤهم في العصر الوسيط، ثم فلاسفة أوروبا حتى عصر **جاليليو** نفسه[167]. ولم يكن أثرها

162 جورج سارتون: تاريخ العلم، الجزء الأول، ص 436

163 د. الطيب بوعزة: فيثاغور والفيثاغورية، ص 311

164 ول ديورانت: قصة الحضارة، حياة اليونان، ص 438

165 Porphyry, The Life of Pythagoras, 30

166 جون ستروميير وبيتر ويستبروك: التناغم الإلهي، ص 81

167 جون ستروميير وبيتر ويستبروك: التناغم الإلهي، ص 90

في الدين أقل أهمية، فديانة **الصابئة القائمة على حركة النجوم والكواكب**، وهي التي أصبحت لب التنجيم، جاءت مباشرة من تلك التصورات الفيثاغورية بالإضافة إلى التصورات الكلدانية[168].

لقد استطاع فيثاغورس ترجمة جميع المبادئ الأساس للكون التي اكتشفها في **لغتي الموسيقى والرياضيات**، واستطاع كذلك من خلال هاتين العمليتين توصيلهما بطريقة ميسورة إلى تلاميذه. وبرهن لهم، بهذه الطريقة، على تناغم الكون[169]. جملة القول إن فكرة التناسب كما طبقت في الموسيقى طبقت كذلك في الفلك، فكان التناغم، وهو الوسط الرياضي، جوهر الأشياء وأصلها. وهذا هو تفسير قول فيثاغورس: **إن العالم عدد ونغم**[170]. وسنجد -كذلك- فكرة التناغم نفسها مطبقةً في علم الطب[171]، وإذا كان تطهير «**النفوس**» يتم بالموسيقى والتأمل الرياضي، فإن تطهير «**الأبدان**» يتم بمعرفة علم الطب، الذي سوف يكون شعاره: **طهارة البدن شرط لطهارة النفس**:

4- الأعداد والطب الفيثاغوري

- **هارمونيا الجسد**

هناك أساليب خاصة للتطهر من المؤثرات الخارجية؛ فتطهير النفس يتم بالموسيقى والعكوف على الدراسات العلمية النظرية من رياضيات وفلك، وأما تطهير البدن، فإنه يتم بممارسة الرياضة البدنية والطب[172]. ويقوم الطب الفيثاغوري على **فكرة التناسب بين الأضداد**، فالجسم مركب من الحار والبارد والرطب واليابس، ومن واجب الطبيب أن يهيئ أفضل مزيج بينهم. وقد نشأت في **كروتون** مدرسة طبية مشهورة، أقدم من زمان فيثاغورس، ثم اندمجت بتعاليمه. وعلى أي حال فنحن لا نعرف من آراء تلك المدرسة إلا ما جاء عن **ألكاميون (Alkamion)** أحد تلاميذ فيثاغورس. وألف ألكاميون كتابًا في الطبيعة مما يشعرنا بأثر المدرسة الأيونية، ولعله كان لاجئًا من آسيا الصغرى هجرها بسبب استعمار الفرس مثل غيره من المفكرين الأحرار. وتعتمد نظريته في الطب -ويمكن القول إن أساسها موجود عند فيثاغورس- على أن **الصحة هي اتزان قوى الجسم (isonomia dynameon =ισονομια δθναμεον)**، أو **هارمونيا الجسد**، فإذا تغلبت إحدى القوى اختل توازن الجسم، وحدثت حالة **موناركية (monarchia)**؛ أي سلطان قوة واحدة، وهذا هو المرض. وبمعنى آخر يحدث الاتزان من اعتدال الأضداد وامتزاجها امتزاجًا

168 جورج سارتون: تاريخ العلم، الجزء الأول، ص 435

169 جون ستروميير وبيتر ويستبروك: التناغم الإلهي، ص 83

170 د. أحمد فؤاد الأهواني: فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، ص 90

171 Zeller, Outlines of The History of Greek Philosophy, p.52

172 د. محمد على أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي, الفلسفة اليونانية، الجزء الأول: من طاليس إلى أفلاطون، ص 55

مؤتلفًا يكون منه **الهارمونيا (harmonia)**، التي صادفناها في الأنغام. ويُعنى الطبيب في إحداث هذه الحالة بأمرين هما **الغذاء والمناخ**. فالاعتدال في الغذاء يعني تناول أطعمة مختلفة بنسب خاصة. وقد يعني التوسط بين الإفراط والتفريط. واعتدال المزاج هو التوسط بين أخلاط الجسم أي الحار والبارد والرطب واليابس، كما يحدثنا **سيمياس الفيثاغوري** في محاورة **فيدون**، نقلاً عن الفيثاغوريين، من **أن الجسم ينبغي أن يشد كما تُشد الأوتارُ في القيثارة**، فتكون **صحة البدن** وهى التناسب، **كالنغم الصادر عن القيثارة**[173]. وكان فيثاغورس «يوصي **بالغناء على أنغام القيثارة، وإظهار الامتنان وإغداق الثناء على الأرباب والبشر عن طريق ترتيل الأناشيد. كما كان ينصح تلاميذه بالامتناع عن أكل الفول لأنه يسبب انتفاخ البطن، ... لجعل أحلامنا لطيفة ونومنا هادئًا خاليًا من الاضطراب**»[174]. **فالصحة نفسها علاقة رياضية** أو نسبة صالحة (هارمونيا) بين أجزاء الجسم أو عناصره[175].

لعلنا نكون قد بينا، بقدرٍ كافٍ، أن العلم -على مختلف ميادينه- في الحساب والهندسة، والموسيقى والفلك، والطب هو الصورة المثلى للتطهير، والرجل الذي يهب نفسه للعلم هو المحب للحكمة، وهو الفيلسوف الذي حرر نفسه من عجلة الميلاد. وهكذا ينجح فيثاغورس في الربط بين تعاليمه الدينية واتجاهه العلمي[176]؛ إذ كان اهتمام فيثاغورس منصبًا على العلم كما كان مهتمًا بمصير النفس، ليسا كقسمين منعزلين ليس بينهما اتصال، بل بالأحرى -كما يقول كيرك ورافن- باعتبارهما عاملين لا ينفصلان في طريقة واحدة للحياة[177]، وهذا هو ما أسميناه «التطهر النظري» أو «التصوف الرياضي عند فيثاغورس».

173 د. أحمد فؤاد الأهواني: فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، ص 88

174 ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، الجزء الثامن، فقرة 24، ص 28

175 ول ديورانت: قصة الحضارة، حياة اليونان، ص 299

176 د. محمد على أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي, الفلسفة اليونانية، الجزء الأول: من طاليس إلى أفلاطون، ص 61

177 G.S.Kirk & J.E.Raven, The Presocratic Philosophers, p 228

المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

- المصادر المترجمة إلى اللغة العربية

- أرسطو: الميتافيزيقا، ترجمة كاملة لكتاب ميتافيزيقا أرسطو، د. إمام عبد الفتاح إمام، ضمن كتابه: مدخل إلى الميتافيزيقا، الطبعة الرابعة، نهضة مصر، القاهرة، 2014م.
- أرسطو: علم الطبيعة، ترجمه إلى الفرنسية بارتلمي سانتهلير، نقله إلي العربية أحمد لطفي سالسيد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1935م.
- أفلاطون: الجمهورية، ترجمة ودراسة، د. فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م.
- أفلاطون: جورجياس، ترجمها عن الفرنسة محمد حسن ظاظا، راجعها الدكتور على سامي النشار، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة **1970م**.
- أفلاطون: فيدون (في خلود النفس) ترجمها عن النص اليوناني مع مقدمات وشروح د. عزت قرني، مكتبة الحرية الحديثة، جامعة عين شمس، القاهرة، 1979م.
- أفلاطون: فيدون، محاورات أفلاطون، عربها عن الإنجليزية د. زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1966م.
- أفلاطون: كراتيليوس (في فلسفة اللغة)، ترجم المحاورة وقدم لها بدراسة تحليلية الدكتور عزمي طه السيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، 1995
- ديوجينيس اللائرتي: حياة مشاهير الفلاسفة، المجلد الثالث، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، راجعه على الأصل اليوناني، محمد حمدي إبراهيم، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2014م.

- المصادر المترجمة إلي اللغة الإنجليزية:

- Aristotle: Metaphysics, The works of Aristotle, vol.1, Trans by R.P.Hardie and R.K.Gaye, in: Great Books of The Western World, ed by: R. M Hutchins, Vol 8, William Benton Publisher, Encyclopaedia Britannica, Chicago, London, 1952
- Aristotle: Physics, The works of Aristotle, vol.1, Trans by R.P.Hardie and R.K.Gaye, in: Great Books of The Western World, ed by: R. M Hutchins, Vol 8, William Benton Publisher, Encyclopaedia Britannica, Chicago, London, 1952
- Diogenes Laretius: Lives of Eminent Philosophers, Vol. 11, Trans by: R. D. Hicks, M.A. Cambridge, Massachusetts, Harvard university Press, London, 1972
- Iamblichus: live of Pythagoras or Pythagoric life, translated from the Greek by Thomas Taylor, J.M.Watkins, London, 1818

- Porphyry: The Life of Pythagoras, in K.S. Guthrie, Pythagorean Source Book and Library, Phanes Press, 1987

ثانيًا- المراجع:

- المراجع العربية

- أبو ريان (د. محمد علي): تاريخ الفكر الفلسفي, الفلسفة اليونانية، الجزء الأول: من طاليس إلى أفلاطون, دار المعرفة الجامعية, الإسكندرية, 1995م.
- إمام (د. إمام عبد الفتاح): نساء فلاسفة في العصر القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م.
- الأهواني (د. أحمد فؤاد): فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009م.
- برهييه (إميل): تاريخ الفلسفة، الجزء الأول، الفلسفة اليونانية، الطبعة الثانية، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1987م.
- بوعزة (د. الطيب): تاريخ الفكر الفلسفي الغربي: قراءة نقدية (3)، فيثاغور والفيثاغورية بين سحر الرياضيات ولغز الوجود، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، 2014
- توماس (هنري): أعلام الفلاسفة كيف نفهمهم، ترجمة: متري أمين، مراجعة وتقديم، د. زكي نجيب محمود، دار النهضة العربية، القاهرة، 1964
- الخطيب (محمد): الفكر الإغريقي، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 1999م.
- دوكاسيه (بيير): الفلسفات الكبرى، الطبعة الثانية، ترجمة، جورج يونس، منشورات عويدات، بيروت، 1977م.
- ديورانت (ول): قصة الحضارة، م3، 4، حياة اليونان، ترجمة، محمد بدران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة, 2001م.
- راسل (برتراند): تاريخ الفلسفة الغربية، الكتاب الأول، الفلسفة القديمة، ترجمة، د. زكي نجيب محمود، راجعه د. أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1957م.
- سارتون (جورج): تاريخ العلم، الجزء الأول، ترجمة، لفيف من العلماء بإشراف د. إبراهيم بيومي مدكور، دار المعارف، القاهرة، 1991 م.
- ستروميير (جون) وويستبروك (بيتر): التناغم الإلهي، حياة فيثاغورس وتعاليمه، ترجمة وتقديم، شوقي جلال، المشروع القومي للترجمة، رقم 2019، القاهرة، 2012م.
- الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم): الملل والنحل، الجزء الثاني، دار صعب، بيروت، 1986م.
- عبد الله (د. محمد فتحي): المدرسة الفيثاغورية: مصادرها ونظرياتها، الدلتا للطباعة، الإسكندرية، 1989.
- عبد الله (د. محمد فتحي): النحلة الأورفية، أصولها وآثارها في العالم اليوناني، الدار الأندلسية، العصافرة، الإسكندرية، 1990م.

- عطيتو (د. حربي عباس): ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، 1995
- غالب (د. مصطفى): فيثاغورس، مكتبة الهلال، بيروت، 1987م.
- فخري (د. ماجد): تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين وبرَقلِس، دار العلم للملايين، بيروت، 1991م.
- كرم (يوسف): تاريخ لفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ.
- كوبلستون (فردريك): تاريخ الفلسفة، المجلد الأول، اليونان وروما، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م.
- كيلاني (د. مجدي): الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، دراسة مصدرية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2009م.
- ماكليش (جون): العدد من الحضارات القديمة حتى عصر الكومبيوتر، ترجمة، د. خضر الأحمد ود. موفق دعبول، مراجعة، د. عطية عاشور، عالم المعرفة (رقم 251)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1999م
- مرحبا (د. محمد عبد الرحمن): تاريخ الفلسفة اليونانية من بدايتها حتى المرحلة الهِلَّنسْيِّة، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر. بيروت، 1993م.
- مطر (د. أميرة حلمي): الفلسفة عند اليونان، الجزء الأول، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1986م.
- النشار (د. مصطفى): تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، الجزء الأول، السابقون علي السوفسطائيين، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.
- ويث (ماري إيلين): تاريخ الفلاسفة النساء، ترجمة، د. محمود مراد، مراجعة، د. محمد فتحي عبد الله، دار الوفاء، الإسكندرية، 2000م.

- مراجع باللغة الإنجليزية:

- Armstrong (A. H.): An Introduction To Ancient Philosophy, Methuen & CO, LTD, London, 1981
- Bogomolov (A.S.): History of Ancient Philosophy, Greece and Rome, trans by: V. Stankerich, Progress Publishers, Moscow, 1985
- Burnet (J.): Early Greek Philosophy, 4 th ed, Adam & Charles-Black, London, 1975
- Cornford (F.M.): From Religion To Philosophy, Princenton University press, Princenton, 1991
- Freeman (K.): The Pre-Socratic philosophers, 2nd ed. Basil Black Well Oxford, 1959

- Gomperz (Theodor), The Greek Thinkers, vol1, trans By Laurie Magnus, John Murray, Albemarle Street, W, London, 1964
- Guthrie (W. K. C.): The Greek philosophers, Routledge, London and New Yourk, 1991
- Hussey (E.): The Presocratics, (Classical Life And Letters) Gerald Duckworth, London, 1972
- Kahn (Chrles. H.): Pythagoras and The Pythagoreans, Hackett Publishing Company, Cambridge, New Yourk 2001.
- Kirk (G.S.) & Raven (J.E.), The Presocratic Philosohers, Cambridge At The University Press, 1957
- Marias (J.): history of philosophy, translated from Spanish By stanley Appelbaum and Clarence C.Strowbridge, Dover Publications, Inc, New York, 1967
- Riedweg (Christoph): Pythagoras: His life, Teaching, and influence, translation from German By Steven Rendall, Cornell University Press, New Yourk.2008
- Windelband (W.): History of Ancient Philosophy, Trans by H. E Cushman, Dover publication Inc, London, 1956
- Zeller (E.): Outlines of The History of Greek Philosophy, Trans by: - LR. Plamer, 13th Ed, Dover Publications Inc, New York, 1980

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود

Mominoun Without Borders

للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

All rights reserved © 2019

جميع الحقوق محفوظة © 2019